فريضة اللّه في الحج

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

﴿ ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن اللّه غنيٌّ عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

الآية نص على وجوب الحج ، والأحاديث الكثيرة تدل على أن الحج أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده ، وقد أجمع المسلمون على ذلك إجماعًا ضروريًا ، وإن وجوبه على المكلف في العمر مرة بالنص والإجماع .

ولقد خطب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الناس فقال : « أيها الناس ، قد فُرض عليكم الحج فحجوا » ، فقال رجل : أكل عام يا رسول اللّه ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثًا ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم » ، ثم قال : « ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » . ثم قال : « الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » .

وإن الأخطاء التي يقع الناس فيها في الحج كثيرة جدًا تفوق الحصر ، يرجع كلها إلى الجهل بأحكامه ، ومن أول هذه الأخطاء وأهمها ؛ أن يؤجل المكلف الحج حتى يطعن في السن ويضعف ، ويكون ذلك سببًا في صعوبات كثيرة على الناس ، وسببًا لتتبع الرخص والبحث عنها لكثرة الضعفاء ، مع أن النبي صلى اللّه عليه وسلم سماه جهادًا .

● يقع الناس في أخطاء كثيرة في الحج ترجع إلى الجهل بأحكامه ، منها أن يؤجل المكلف الحج حتى يطعن في السن ويضعف .

● من خاف ألا يرزقه الله بمال يُعلم به الولد ، أو يزوج به نفسه أو ابنته أو يقيم به شأنه إن هو أنفق هذا المال في الحج ، فهذا الفهم متابعة للشيطان ، وبعد عن الحكمة في التصرف في المال .

● على كل مستطيع للحج يجد إليه السبيل أن يبادر به .

● أي باب أطيب من فريضة الله في الحج ينفق فيه ، فهل يتعظ أولو الألباب ولا يتبعوا الشيطان في خوف العيلة والفقر ؟

فعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قلت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ فقال : « ولكنّ أفضل الجهاد حج مبرور » ، فكيف يؤجل القوي الفتي الجهاد حتى يضعف ؟!

وإن ذلك التأجيل إنما يحدث ، حيث يظن الرجل أن الحج لا يجب عليه إلا بعد أن يفعل كذا وكذا من أمور دنياه ويجعل له ترتيبًا في ذهنه ليس له أصل في شرع ولا دين ، وذلك يدل على أخطاء :

أولها : أنه يخاف ألا يرزقه الله بمال يُعلم به الولد ، أو يزوج به نفسه أو ابنته ، أو يقيم به شأنه إن هو أنفق هذا المال في الحج ، مع أن حديث ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة » .

ولا شك أن هذا الفهم متابعة للشيطان في وسوسته وبُعد عن الحكمة في التصرف في المال وظن سيئ في حق الله سبحانه ، فتدبر قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تُغمضوا فيه واعلموا أن الله غنيٌ حميدٌ ۞ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً والله واسع عليمٌ ۞ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يُؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولو الألباب ۞ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذرٍ فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصارٍ ﴾ [البقرة : ٢٦٧- ٢٧٠] ،

فأي باب أطيب من فريضة اللَّه في الحج ينفق فيه ، فهل يتعظ أولو الألباب ، ولا يتابعوا الشيطان في خوف العيلة والفقر ألا يجد ما ينفقه في تعلم أو زواج إذا أنفق في الحج .

فالعجب لمن يؤمن باللَّه رزاقًا كيف يخاف إن أنفق ماله في فرائض اللَّه ، يخاف أن يبخل اللَّه عليه بالمال لينفقه فيما أحل اللَّه .

ثانيًا : سوء فهم قوله تعالى : ﴿ من استطاع إليه سبيلاً ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، فلا يجعل من نفسه مستطيعًا لأمور ليست من الاستطاعة في شيء .

فيقول القاسمي في « محاسن التأويل » : فعلى كل مستطيع للحج يجد إليه السبيل بأي وجه كانت الاستطاعة ، الحج على ظاهر الآية ، قال : وروينا عن عكرمة أنه قال : الاستطاعة ؛ الصحة .

وقال الضحاك : إذا كان شابًا صحيحًا ليس له مال فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي نسكه ، فقال له قائل : أكَلَّف اللَّه الناس أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو لكان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه ؟ قال : لا ، بل ينطلق إليه ولو حبوًا ، قال : فكذلك يجب عليه حج البيت .

وقال مالك : الاستطاعة على إطاقة الناس ، الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي ، وآخر يقدر على المشي على رجليه ، وقالت طائفة : الاستطاعة : الزاد والراحلة .

ويقول القاسمي أيضًا في قوله تعالى : ﴿ وللَّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن اللَّه غنيٌّ عن العالمين ﴾ : هذه الآية الكريمة حازت فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه ، فمنها الإتيان بـ (اللام وعلى) ، في قوله : ﴿ وللَّه على الناس حج البيت ﴾ يعني أنه حق واجب للَّه في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج عن عهدته ، ومنها أنه ذكر ﴿ الناس ﴾ ، ثم أبدل عنه : ﴿ من استطاع إليه سبيلاً ﴾ ، وفيه ضربان من التأكيد ، أحدهما : أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له ، والثاني : أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ، ومنها قوله : ﴿ ومن كفر ﴾ مكان من لم يحج تغليظًا على تارك الحج ، ومنها ذكر الاستغناء عنه ، وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ، ومنها قوله عن العالمين ، ولم يقل : عنه ، وما فيها من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان ؛ لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ؛ ولأنه يدل على الاستغناء الكامل ، فكان أدل على عظم السخط الذي وقع . (انتهى) .

وأفعال الحج من الإحرام والطواف والسعي ورمي الجمار والوقوف بعرفة ومزدلفة من الأفعال التي تنبئ على امتثال العبد لأوامر سيده ، وإن لم يفهم المقصود من هذه الأوامر ، إنما يتعين عليه الامتثال ، ويلزمه الانقياد من غير سؤال عن المقصود ولا طلب الفائدة ، والمعنى من هذه الأفعال ؛ لذا كان تلبيته صلى اللَّه عليه وسلم أحيانًا : « لبيك حقًّا حقًّا ، تعبدًا ورقًّا ، لبيك إله الحق » .

ويقول رب العزة سبحانه : ﴿ الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ فمن فرض فيهن الحج فلا رفثَ ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه اللَّه وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

يقول السعدي في تفسيره : يجب أن تعظموا الإحرام بالحج ، وخصوصًا الواقع في أشهره وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه من الرفث ، وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية ، خصوصًا عند النساء وبحضرتهن .

والفسوق وهو : جميع المعاصي ، ومنها محظورات الإحرام ، والجدال وهو المماراة والمنازعة والمخاصمة ؛ لكونها تثير الشر وتوقع العداوة ، والمقصود من الحج الذل والانكسار للَّه ، والتقرب إليه بما أمكن من القربات والتنزه عن مقارفة السيئات ، فإنه بذلك يكون مبرورًا ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان ، فإنه يتغلظ المنع عنها في الحج ، واعلم أنه لا يتم التقرب إلى اللَّه بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر ، ثم يقول أيضًا : أمر اللَّه تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك ، فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين والكف عن أموالهم سؤالاً واستشرافًا ، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين وزيادة قربة لرب العالمين ، وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية بلغة ومتاع .

وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه فهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار ، وهو الموصل لأكمل لذة وأجل نعيم دائمًا أبدًا .

ومن قول الأعشى :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقال غيره :

يا نفس إني قائل فاسمعي ... مقالة من مشفق ناصح

لا يصحب الإنسان في قبره ... غير التقى والعمل الصالح

وبهذا يلتقي الحج مع سائر العبادات في أن يكون زادًا يتقي به العبد سخط اللَّه وناره ، ويطمع بأدائه في جنة قال اللَّه عنها : ﴿ أُعدت للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، فهذه أيام الحج وأشهره ، واستعداد الناس للخروج إليه : ﴿ فسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

اللهم هيأ لنا حج بيتك الكريم ، وتقبل منا ومن سائر المسلمين ، وارفع عنا الآثام والذنوب ، وتقبل منا واقبلنا يا رب العالمين ، إنك علىٰ كل شيء قدير . واللَّه من وراء القصد .

كلمة التحرير

الكعبـــــة ...

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فقد وعدنا - في العدد السابق - أن نكمل الحديث عن الكعبة والمشاعر المقدسة ؛ بعد أن تحدثنا عن شيء من أخبار مكة ، وفضائلها[1] ، فنقول مستعينين بالله :

قال الله عز وجل : ﴿ إنَّ أول بيتٍ وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدًى للعالمين ۞ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] ، وقال سبحانه : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

قال ابن كثير ، رحمه الله : يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفيّه وخليله إمام الحنفاء ووالد الأنبياء ، عليه أفضل صلاة وتسليم ، أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وُضع لعموم الناس يعبدون الله فيه ، وبوّأه الله مكانه ؛ أي أرشده إليه ، ودله عليه ؛ وهو المكان المهيأ له ، المعين لذلك منذ خلق الله السماوات والأرض ، كما ثبت في ((الصحيحين)) : ((أن هذا البلد - أي مكة - حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة)) ؛ ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل ، عليه السلام ، ومن تمسك في هذا بقوله : ﴿ مكان البيت ﴾ [الحج : ٢٦] ، فليس بناهض ولا ظاهر ؛ لأن المراد مكانه المقدّر في علم الله ، المقرّر في قدرته ، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم . [البداية والنهاية (١/٥٣)] .

ثم قرر ابن كثير ، رحمه الله ، ما قرره أهل العلم قبله وبعده أن الإسرائيليات لا تصدق ولا تكذب ولا يحتج بها في ذاتها .

وذكر أن الخليل صلى الله عليه وسلم بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع بواد غير ذي زرع ، ودعا لأهله بالبركة ، وأن يرزقوا من الثمرات ، مع قلة المياه ، وعدم

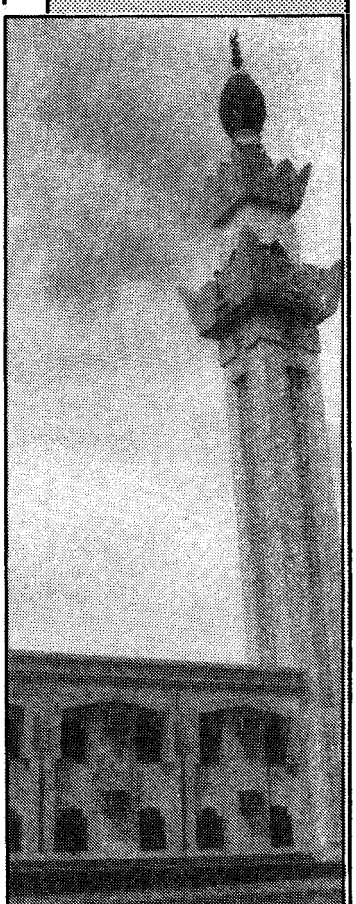

(١) مما يلفت النظر أن مكة المشرفة ، وهي بلد التجارة التي خرجت منها وإليها رحلة الشتاء والصيف كانت مليئة بالأسواق المتخصصة ، ففي القرن الثالث الهجري (آخر القرون الفاضلة) كان بها سوق التمارين (بائعي التمر) ، وسوق أصحاب الصابون ، وسوق البزازين (بائعي البز) ، وسوق الصيارفة ، وسوق الصيادلة ، وسوق الحذائين ، وسوق النجارين ، وسوق الخرازين ، وسوق اللبانين ، وسوق الحمارين ، وسوق السمك ، وسوق الغنم ، وسوق القوارير ، وسوق القواسين ، وسوق الظهر ، وسوق الحدادين ، وسوق الرواسين ، وسوق الحطب ، وسوق البرامين ، وسوق الليل ، وسوق البقر ، وسوق الغزالين ، وسوق أصحاب الأدم ، وسوق الدباغين ، وسوق الخياطين ، وسوق البقالين ، وسوق الدجاج والحمام ، وسوق ساعة ، وسوق الفاكهة .

والمشاعر المقدسة

بقلم رئيس التحرير
الشيخ / صفوت الشوادفي

الأشجار والزروع والثمار ، وأن يجعله حرمًا آمنًا ، وسأل الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم ؛ أي من جنسهم وبلغتهم ، فاستجاب الله له ، ولبى طلبه في كل ما سأله ، ولما كان إبراهيم ، عليه السلام ، هو باني الكعبة لأهل الأرض استحق أن يكون منصبُه ومحله ، وموضعه في منازل السماوات ، ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذي هو كعبة أهل السماء السابعة كما ثبت ذلك في حديث الإسراء والمعراج ، وعندما بنى إبراهيم البيت وضع الحجر الأسود في مكانه الذي هو فيه اليوم ؛ وقد ثبت أن الحجر الأسود نزل من الجنة ، وكان عند نزوله أشد بياضًا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك .

قال المحب الطبري : في بقائه أسود عبرةٌ لمن له بصيرة ، فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد .

وأما مقام إبراهيم الذي ذكره الله في كتابه ؛ فهو الحجر الذي كان يقف عليه قائمًا لما ارتفع البناء عند قامته ، فوضع له إسماعيل ، عليه السلام ، هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء ، وقد كان ملصقًا بجدار الكعبة ، ثم نقل قليلاً عن موضعه الأصلي إلى ما هو عليه الآن ، وقد استمرت الكعبة على ما بناها عليه الخليل مدة طويلة ، ثم بنتها قريش في الجاهلية - وكانوا يعظمون الكعبة - ولكنهم لم يبنوها على قواعد إبراهيم ، فأخرجوا حجر إسماعيل من البيت ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة الذي في « الصحيحين » ؛ وهذا هو السر في عدم صحة طواف من يطوف من داخل حِجْر إسماعيل ؛ لأن الحِجْر جزء من البيت ، وكذلك لا يصلى في حِجْر إسماعيل صلاة الفريضة ، والنافلة على خلاف ؛ لأنه لا يكون مستقبلاً لكل البيت .

✹ كسوة الكعبة : روى البخاري في « صحيحه » من كتاب الحج ، فقال : باب كسوة الكعبة ، ثم ذكر حديثًا في ذلك ، ونقل ابن حجر قول ابن بطال : إن الملوك في كل زمان كانوا يتفاخرون بكسوة الكعبة برفيع الثياب المنسوجة من الذهب وغيره ، كما يتفاخرون بتسبيل الأموال لها - أي ؛ جعلها سبيلاً ووقفًا على الكعبة - ثم ذكر الحافظ كلامًا طويلاً في « الفتح » (٣/٥٣٦) عن بدء كسوة البيت الحرام ، فتحصل له في أول من كساها مطلقًا ثلاثة أقوال : إسماعيل ، وعدنان ، وتبعٌ ؛ فأما إسماعيل ، عليه السلام ، فهو أول من كساها مطلقًا ، وأما تبع فأول من كساها الأنطاع والوصائل ، وأما عدنان فأول من كساها بعد إسماعيل .

وأما أول من كساها الديباج ، فقد ذكر في ذلك ستة أقوال : خالد ، أو نتيلة ، أو معاوية ، أو يزيد ، أو ابن الزبير ، أو الحجاج ، ثم جمع بينها ، وأزال تعارضها ،

سميت أيام التشريق بذلك ؛ لأنهم كانوا يشرقون للشمس بمنى في غير بيوت ولا أبنية في الحج.

فقال : كسوة خالد ونتيلة لم تشمل كل الكعبة ؛ وإنما كان فيما كساها شيء من الديباج ، وأما معاوية فلعله كساها في آخر خلافته ، فصادف ذلك خلافة ابنه يزيد ، وأما ابن الزبير فكأنه كساها ذلك بعد تجديد عمارتها ، فأوليته بذلك الاعتبار ، لكن لم يداوم على كسوتها الديباج ، فلما كساها الحجاج بأمر عبد الملك استمر ذلك ؛ فكأنه أول من داوم على كسوتها الديباج في كل سنة .

وذكر الفاكهي أن أول من كساها الديباج الأبيض المأمون بن الرشيد ، وكساها محمد بن سبكتكين ديباجًا أصفر ، وكساها الناصر العباس ديباجًا أخضر ، ثم كساها ديباجًا أسود ، فاستمر إلى الآن . اهـ .

✹ زمزم : روى البخاري في ((صحيحه)) بسنده إلى أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : كان أبو ذر ، رضي الله عنه ، يحدِّث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((فُرِج سقفي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، عليه السلام ، ففَرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا ، فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي ، فعرج إلى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء الدنيا : افتح ، قال : من هذا ؟ قال : جبريل)) .

وقد ثبت من فضائلها عند مسلم من حديث أبي ذر : ((أنها طعام طعم)) ، وعند الطيالسي : ((وشفاء سقم)) ، وأما حديث : ((ماء زمزم لما شُرب له)) ، فقد قال الحافظ عنه : (اختلف في إرساله ووصله ؛ وإرساله أصح) .

✹ وقد سميت زمزم بذلك لكثرتها ، يُقال : ماء زمزم أي كثير ، وقيل : لاجتماعها ، وقال البعض : الزمزمة من الناس خمسون ونحوهم .

وذكر الفاكهي في ((أخبار مكة)) قول مجاهد : سميت زمزم ؛ لأنها مشتقة من الهزمة ، والهزمة : الغمز بالعقب في الأرض ، أي كما فعل جبريل ، عليه السلام ، عند ظهور زمزم ، وقيل : سميت زمزم لحركتها ، أو لأنها زُمَّت لئلا تأخذ - أي تنتشر - يمينًا وشمالاً .

✹ وسُمي يوم التروية بذلك ؛ لأن الناس كانوا يَتروَّون من الماء ، وقال بعضهم : إن الناس كانوا يتروون فيه الماء إلى عرفات ، ولم يكن بها ماء ؛ أي يحملون الماء معهم في هذا اليوم إلى عرفات ، وهم ذاهبون إليها .

✹ وسميت عرفات بذلك ؛ لما رواه الفاكهي بإسناد صحيح إلى أبي مجلز ، رضي الله عنه ، قال : انطلق جبريل ، عليه الصلاة والسلام ، بإبراهيم ، عليه السلام ، إلى عرفات ، فقال : عرفت ؟ قال : نعم ، قال : فمن ثم سُميت عرفات ، وقال عطاء ، رضي الله عنه : إنما سُميت عرفات ؛ لأن جبريل ، عليه السلام ، كان يري إبراهيم ، عليه السلام ، المناسك ثم يقول : عرفت ؟ فيقول : عرفت ، ثم يقول : عرفت ؟ فيقول عرفتُ ، فسميت عرفات .

✹ وسُميت مزدلفة بذلك ؛ لمزدلف الناس عنها ، وأنهم لا يقيمون بها يومًا كاملاً .

✹ وسُميت أيام التشريق بذلك ؛ لأنهم كانوا يشرقون للشمس بمنى في غير بيوت ولا أبنية في الحج ، أو لأنهم كانوا يشرِّقون القديد في هذه الأيام .

والله أعلم . وصلى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

سمي يوم التروية بذلك ؛ لأن الناس كانوا يتروون فيه الماء إلى عرفات ، ولم يكن بها ماء ، فيحملون الماء معهم في هذا اليوم إلى عرفات

باب التفسير

بقلم الشيخ / عبد العظيم بدوي

آداب الحج

قال تعالى : ﴿ الحج أشهرٌ معلوماتٌ فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، الحج فريضة من فرائض الدين ، وركن من أركان الإسلام ، وذلك معلوم من الدين بالضرورة ، لا يحتاج إلى استدلال .

والحج فضله عظيم ، يرجع منه الحاج مغفور الذنب ، مكفر الخطايا ، قد عفا الله له عما سلف ، وطويت صفحته الماضية كأنما وُلد من جديد ؛ لذلك يحرص المسلمون عليه ، وينفقون في سبيله المال والوقت والجهد ، ويتركون الأهل والولد والوطن ، حرصًا على هذا الفضل ، وطمعًا فيه ، ورحمة الله واسعة ، وفضله عظيم ، لكنه قد قيل :

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
إن السفينة لا تجري على اليبس

فهذا الفضل العظيم خاصٌ لا عام ، ومقيدٌ لا مطلق ، فهو يختص بمن التزم بهذا القيد ولا يعم غيرهم ، وسنعرف هذا القيد من خلال هذا المقال إن شاء الله .

﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ :

لما ذكر الله تعالى الصيام وأحكامه نص على أيامه ؛ فقال : ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وبين وقته فقال : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ولما ذكر الحج لم ينص على أيامه ، وإنما قال : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ ، فهي مشهورة مستفيضة ، معلومة للناس في الجاهلية ، وقد أقرّها الإسلام ولم يغيرها ، وهي شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة : ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ ؛ أي فمن أحرم فيهن بالحج المفروض أو التطوع : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ .

إن الإحرام لا يكون إلا بالتجرد من زينة الحياة الدنيا كلها ، فيحرم المحرم في إزار ورداء فقط ، فأولى له أن يتخلى أيضًا عن كل ما حرم عليه لعارض الإحرام مما هو في أصله حلال ، ومما يحرم بالإحرام: لبس المخيط ، وتغطية رأس الرجل بعمامة ونحوها ؛ والطيب ، لحديث ابن عمر : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما يلبس المحرم من الثياب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يلبس القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف ، إلا أحدٌ لا يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل من الكعبين ، ولا تلبسوا من الثياب شيئًا مسه زعفران أو وَرْس)) . [متفق عليه] .

ومما يحرم بالإحرام : تقليم الأظفار ، وإزالة الشعر بالحلق أو

القص ، أو غير ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، وأجمع العلماء على حرمة قلم الظفر للمحرم : [الإجماع لابن المنذر : ٥٧].

ومما يحرم بالإحرام : الرفث ؛ وهو مقدمات الجماع ودواعيه ، وكل حاج يلتزم بذلك - بفضل الله - ويتركه لله ، ولكن مع الأسف قد يقع في المحرمات أصلاً وأبدًا في الحج وغيره ، كالغيبة والنميمة ، والهمز واللمز ، والسبّ والشتم ، والجدال والمراء ، بل قد يصل الأمر إلى الضرب ! فكيف يطمع من يقع في هذه المحرمات - وهو محرم - أن يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ؟! ولذا أكد الله تعالى على التخلي عن هذه المحرمات ، فقال : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ ، فجمع في النهي بين ما حُرم لعارض الإحرام ، وما هو محرم أصلاً وأبدًا تأكيدًا على أنه يتأكد حتمًا اجتناب هذه المحرمات في الحج ؛ لأن حرمتها فيه أشد من حرمتها في غيره ، والله تعالى قد قال في حق الحرم : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج : ٢٥] ، فكيف بمن فعل ؟!

ومن أسوأ الأفعال وقبيح الذنوب إشعال المحرم السيجارة وهو محرم ، فتراه يتلطخ بهذه القاذورات ، ويملأ فمه بنتنها ، ثم يصرح ملبيًا : لبيك اللهم لبيك ، أي : إجابة لك بعد إجابة ، ولزومًا للطاعة ، فأين هي الإجابة ؟ وأين هي الطاعة ؟!

ألا فليعلم كل حاج أن هدم الحج لما قبله مقيد بما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . [متفق عليه] . فمن رفث وفسق فأنى له ذلك ؟!

ولما أمر الله تعالى بالتخلي عن الفسوق والعصيان أمر بالتحلي بالبر والطاعة فقال : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ .

إن موسم الحج موسم النفحات والرحمات ، وفيه يضاعف ثواب الطاعات ، فهو يقع في خير الأيام وأفضلها ، يقع في أيام يحب الله تعالى فيها الطاعات ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر » ؛ يعني عشر ذي الحجة . [البخاري : ٩٦٩] .

فالواجب على الحاج أن يحرص على كل خير وبر ، من صلاة وصدقة ونسك ، وأمر بمعروف بالمعروف ، ونهي عن منكر بالمعروف ، ودعوة إلى الخير ، وتعليم الناس ما يحتاجونه مما يعلمه ، وسعي في قضاء حوائجهم ، ونحو ذلك مما يحبه الله ويرضاه .

ولما كان السفر يحتاج إلى زاد ولا سيما إذا طال وطالت أيامه ، أمر الله المسافرين للحج بأخذ ما يكفيهم وزيادة ، وأعلمهم أن هذا لا ينافي التوكل ، فقال تعالى : ﴿ وتزودوا ﴾ .

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وتزودوا ﴾ . [البخاري : ٨١١] .

ثم أرشدهم إلى أن يتذكروا بأسفارهم هذه في الدنيا السفر الأكبر من الدنيا إلى الآخرة ، وأن هذا السفر الأكبر يحتاج أيضًا إلى زاد ، ولكن ليس من جنس زاد الدنيا ، فقال تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ .

وفي هذا يقول القائل :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرًا
وعند الله للأتقى مزيد

قال تعالى : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ۞ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ۞ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ۞ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ۞ لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ﴾ [ق : ٣١ - ٣٥] ، وأعلا هذا المزيد وأفضله النظر إلى وجه الله عز وجل ، فمن أراد ذلك المزيد فعليه أن يزداد من زاد التقوى ، وأولى الناس بذلك هؤلاء الذين جادوا بأموالهم وأوقاتهم وجهدهم ، وتركوا أوطانهم وأولادهم وأهليهم ، وهاجروا إلى الله يبتغون من فضل الله .

ألا فليحرص كل حاج على أن يتخلى عن كل ما نهى الله عنه ، ويتحلى بكل ما أمر الله به ، حتى يحقق قوله تعالى : ﴿ فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ ، فإن فعل فليبشر بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

نسأل الله تعالى أن يجعل موسم الحج هذا موسم خير ويمن وبركة ، وأمن وأمان وسلم وسلام ، وأن يرد جميع الحجيج سالمين غانمين ، وأن يجعل حجهم مبرورًا ، وسعيهم مشكورًا ، وذنبهم مغفورًا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عمرة عائشة رضي الله عنها

الحلقة الأخيرة

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد ، فنكمل حديثنا عن عمرة عائشة ، رضي الله تعالى عنها ، وملخص ما نُشر في العدد الماضي :

التعريف براوي الحديث عبد الرحمن بن أبي بكر ، رضي الله عنه ، والتعريف بحدود الكعبة وحدود الحرم ومواقيت الحج ، وفضل الحج والعمرة وأنهما من الجهاد ، وبيان أن عمرة التنعيم عمرة أهل مكة وليس لأهل الآفاق إلا عن عذر ، وسبب الإذن فيها لعائشة ، رضي الله عنها ، ثم شرعنا في سرد أقوال أهل العلم في عمرة عائشة ، وذكرنا طرفًا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، ونكمله في هذا العدد ، ثم نذكر كلام غيره من أهل العلم ، مع ذكر فوائد الحديث :

والمنصوص عن أحمد : أنه لا يستحب الإكثار من العمرة لا من مكة ولا غيرها ، بل يجعل بين العمرتين مدة ، ولو أنه مقدار ما ينبت فيه الشعر ويمكنه حلقه ، هذا لمن يخرج إلى ميقات بلده ويعتمر ، أما المقيم بمكة فكثرة الطواف بالبيت أفضل من العمرة المكية ، كما كان يفعل الصحابة إذا كانوا مقيمين بمكة ، كانوا يكثرون الطواف ولا يعتمرون عمرة مكية ، فإذا تبين أن العمرة المكية عقيب الحج مع الحج لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق العلماء ولا أحد من الصحابة إلا عائشة ، رضي الله عنها ، ولا كان خلفاؤه الراشدون يفعلونها امتنع أن يكون ذلك أفضل ، أما إذا أفرد الحج واعتمر عقيب ذلك من أدنى الحل ، فهذا الإفراد لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين حجوا معه ، بل ولا غيرهم ، كيف يكون هو الأفضل مما فعلوه معه بأمره ، بل لم يعرف أن أحدًا اعتمر من مكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عائشة لا في حجة الوداع ولا قبلها ولا بعدها ، بل هذه العمرة لا تجزئ عن عمرة الإسلام في أحد الروايتين عن أحمد وعند بعض أهل العلم أنها متعة .

أما إذا أراد أن يجمع بين النسكين في سفرة واحدة وقدم مكة في أشهر الحج ولم يسق الهدي فالتمتع أفضل له من أن يحج ويعتمر بعد ذلك من الحل ؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حجوا معه ولم يسوقوا الهدي أمرهم جميعهم أن يحجوا هكذا .

ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أحد يخرج من مكة ليعتمر إلا لعذر لا في رمضان ولا في غير رمضان ، والذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيهم من اعتمر بعد الحج بمكة إلا عائشة كما ذكر ، ولم يكن هذا من فعل الخلفاء الراشدين الذين استحبوا الإفراد من الصحابة ، إنما استحبوا أن يحج في سفرة ويعتمر في أخرى ، ولم يستحبوا أن يحج ويعتمر عقيب ذلك عمرة مكية ، بل هذا لم يكونوا يفعلونه قط ، اللهم إلا أن يكون شيئًا نادرًا .

فمن كان بمكة من مستوطن أو مجاور أو قادم أو غيرهم فإن طوافه بالبيت أفضل له من العمرة ، وسواء خرج من ذلك إلى أدنى الحل وهو التنعيم الذي أحدث

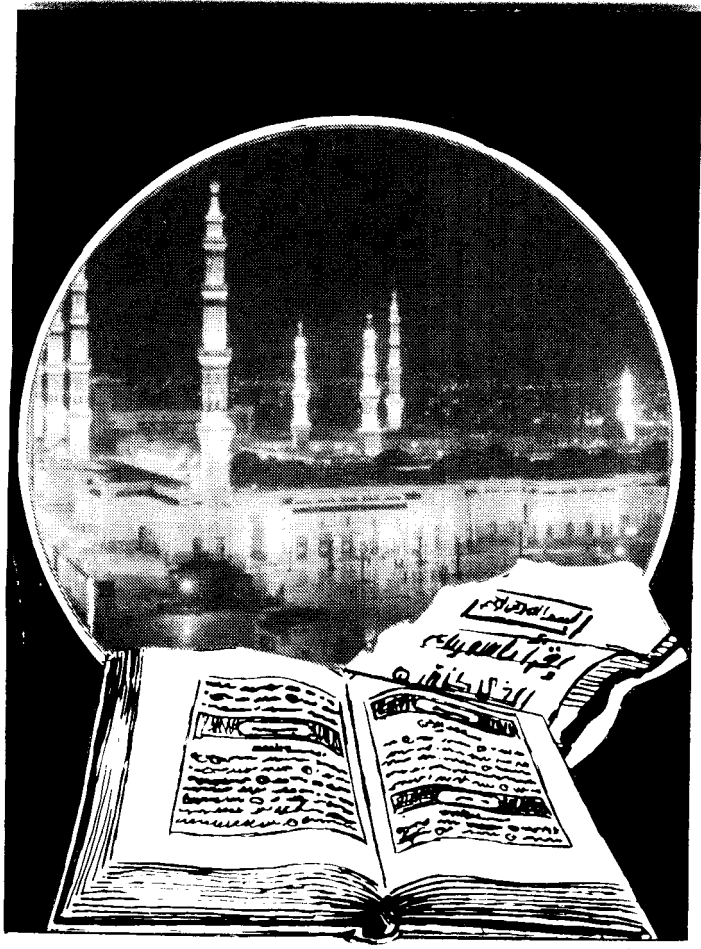

فيه المساجد التي تسمى (مساجد عائشة) ، أو أقصى الحل من جوانب الحرم (الجعرانة ، أو الحديبية) ، أو غير ذلك . وهذا المتفق عليه بين سلف الأمة ، ما أعلم فيه مخالفًا من أئمة الإسلام في العمرة المكية ، أما العمرة من الميقات بأن يذهب إلى الميقات فيحرم منه أو يرجع إلى بلده ، ثم ينشئ السفر للعمرة ، فهذه ليست عمرة مكية ، بل هذه عمرة تامة .

فلا يستريب عالم بسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين وآثار الصحابة والسلف أن الطواف أفضل من الاعتمار من مكة وترك الطواف ليس بمستحب ، بل المستحب هو الطواف دون الاعتمار ، بل الاعتمار فيه حينئذ بدعة لم يفعله السلف ولم يؤمر بها في الكتاب والسنة ، ولا قام دليل شرعي على استحبابها ، وما كان كذلك فهو من البدع المكروهة باتفاق العلماء .

ولهذا كان السلف والأئمة ينهون عن ذلك ، فروى سعيد في « سننه » عن طاووس ، وهو من أجل أصحاب ابن عباس ، قال : الذين يعتمرون من التنعيم ما أدري أيؤجرون عليها أم يعذبون ؟ قيل : فلم يُعذبون ؟ قال : لأنه يدع الطواف بالبيت ويخرج أربعة أميال ويجيء ، وإلى أن يجيء من أربعة أميال قد طاف مائتي طواف ، وكلما طاف بالبيت كان أفضل من أن يمشي من غير شيء . (انتهى كلام شيخ الإسلام) .

أما ابن القيم فكتب في « زاد المعاد » بشأن عمرة عائشة ، رضي اللَّه عنها ، فقال : عائشة ، رضي اللَّه عنها ، كانت إذا حجت - أي بعد حجتها مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم - صبرت حتى يدخل المحرم ، ثم تحرم من ذي الحليفة ، فلم تكن تعتمر من أدنى الحل .

أقول : فهذه عائشة ، رضي اللَّه عنها ، لم تعد لعمرتها من التنعيم بعد ذلك مع صعوبة السفر ووعورة الطريق بالنسبة لما عليه الحال اليوم .

وللناس في هذه العمرة التي أتت بها عائشة من التنعيم أربعة مسالك ، أحدها : أنها كانت زيادة تطييبًا لقلبها وجبرًا لها ، وإلا فطوافها وسعيها وقع عن حجها وعمرتها ، وكانت متمتعة ، ثم أدخلت الحج على العمرة ، فصارت قارنة ، وهذا أصح الأقوال ، والأحاديث لا تدل على غيره ، وهذا مسلك الشافعي وأحمد وغيرهما .

■ أما الشيخ الألباني - حفظه اللَّه تعالى - فيقول : فالعمرة بعد الحج إنما هي للحائض التي لم تتمكن من الإتيان بعمرة الحج بين يدي الحج ؛ لأنها حاضت كما علمت من قصة عائشة هذه ، فمثلها من النساء إذا أهلت بعمرة الحج كما فعلت هي رضي اللَّه عنها ، ثم حال بينها وبين إتمامها الحيض ، فهذه يشرع لها العمرة بعد الحج ، فما يفعله اليوم جماهير الحجاج من تهافتهم على العمرة بعد الحج مما لا نراه مشروعًا ؛ لأن أحدًا من الصحابة الذين حجوا معه صلى اللَّه عليه وسلم لم

يفعلها ، بل إنني أرى أن هذا من تشبه الرجال بالنساء ، بل بالحيض منهن ، ولذلك جريت على تسمية هذه العمرة بـ (عمرة الحائض) بيانًا للحقيقة . (انتهى كلامه ، حفظه الله تعالى) .

وهذا الكلام ، وإن ضيق العذر على من أداها بعد الحج في الحيض فحسب ، فإن ثبوتها في غير ذلك قليل نادر ، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن أمثلته ما جاء عن عبد الله بن الزبير لما أعاد بناء الكعبة ، وكما جاء أيضًا فيما ذكره الفاكهي عن عطاء ومجاهد وغيره ليلة السابع والعشرين من رمضان .

فتدبر لتعلم أن التوسع الذي يفعله الناس اليوم في ذلك ليس هو الذي عليه هدي السلف ، ولا يستدل لهم بهذه الآثار .

وفي الحديث فوائد أخرى عظيمة نبدأها بما ذكره ابن القيم في « زاد المعاد » : وحديث عائشة هذا يؤخذ منه أصول عظيمة من أصول المناسك ، أحدها : اكتفاء القارن بطواف واحد وسعي واحد . الثاني : سقوط طواف القدوم عن الحائض ، كما أن حديث صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أصل في سقوط طواف الوداع عنها ، الثالث : أن إدخال الحج على العمرة للحائض جائز ، كما يجوز للطاهر ، وأولى ؛ لأنها معذورة محتاجة إلى ذلك ، الرابع : أن الحائض تفعل أفعال الحج كلها ، إلا أنها لا تطوف بالبيت ، الخامس : أن التنعيم من الحل ، السادس : جواز عمرتين في سنة واحدة ، بل في شهر واحد ، السابع : أن المشروع في حق المتمتع إذا لم يأمن الفوات أن يدخل الحج على العمرة ، وحديث عائشة أصل فيه ، الثامن : أنه أصل في العمرة المكية ، وليس مع من يستحبها غيره ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر هو ولا أحد ممن حج معه من مكة خارجًا منها إلا عائشة وحدها ، فجعل أصحاب العمرة المكية قصة عائشة أصلاً لقولهم ، ولا دلالة لهم فيها ، فإن عمرتها إما أن تكون قضاءً للعمرة المرفوضة عند من يقول : إنها رفضتها ، فهي واجبة قضاء لها ، أو تكون زيادة محضة ، وتطييبًا لقلبها عند من يقول : إنها كانت قارنة ، وإن طوافها وسعيها أجزأها عن حجها وعمرتها . والله أعلم . (انتهى كلام ابن القيم ، رحمه الله) .

■ **إفراد الحج هل هو أفضل ثم عمرة من التنعيم ؟**

من استحب من الخلفاء الراشدين وغيرهم من أئمة الدين الحج مفردًا على المتمتع والقارن استحبه ؛ لأنه يؤدي في كل سفرة نسكًا ، فيكون أكثر قربة لربه ومثوبة عنده ، أما عمرة التنعيم فليست المقصودة ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ، رضي الله عنها : « فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم فأهلي ، ثم ائتينا بمكان كذا وكذا ، ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك » .

ومعلوم أن من انتظرها ومن سار معها قد تعب وأنفق مثلها أو قريبًا منها ، وليس من اعتمر من التنعيم كمن جاء بعمرة من ميقات بلده ، لذا فإن عائشة ، رضي الله عنها ، كانت إذا أرادت العمرة بعد الحج بعد ذلك تنتظر في المدينة حتى يدخل المحرم فتحرم من ذي الحليفة ، ثم تؤدي عمرة ، ولم تعد إلى التنعيم بعد ، فضلاً عن أن يكون قد قام بذلك غيرها من أهل الآفاق ، وكل ما وجدناه إنما هو من عمرة أهل مكة ، وليس فيها دليل على فضل آدائها من التنعيم لغير المعذور .

■ **الاجر .. والمشقة .. والنفقة :**

يقول العيني في « العمدة » : إن الثواب في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة ، وقال ابن عبد السلام : هذا ليس بمطرد ، فقد تكون بعض العبادة أخف من بعض ، وهي أكثر فضلاً بالنسبة إلى الزمان ، كقيام ليلة القدر بالنسبة لقيام ليالي من رمضان غيرها ، وبالنسبة للمكان كصلاة ركعتين في المسجد الحرام بالنسبة لصلاة ركعات في غيره ، وبالنسبة إلى شرف العبادة المالية والبدنية كصلاة الفريضة بالنسبة إلى أكثر

من عدد ركعاتها أو من قراءتها ، ونحو ذلك من صلاة النافلة ، وكدرهم من الزكاة بالنسبة إلى أكثر منه من التطوع .

قلت - القائل العيني -: هذا الذي ذكره لا يمنع الإطراد ؛ لأن الكثرة الحاصلة في الأشياء المذكورة ليست من ذاتها ، وإنما هي بحسب ما يعرض لها من الأمور المذكورة . فافهم ، فإنه دقيق .

■ وقال النووي : المراد بالنصب الذي لا يذمه الشرع وكذا النفقة وفي « التوضيح » : أفعال البر كلها على قدر المشقة والنفقة ، ولهذا استحب الشافعي ومالك الحج راكبًا .

وهذا الباب واسع فيه الأدلة والآثار كثيرة ، فإن الصديق ، رضي الله عنه ، ما سبق غيره من الأصحاب إلا بإيمان وقر في قلبه ، وفي حديث الشهداء أربعة فإن الثاني منهم : مؤمن قوي الإيمان لم يسبق من بعده . (الثالث والرابع) بجهد في بدنه إنما بإيمان في قلبه ، ومن ذلك حديث جويرية بنت الحارث الذي أخرجه أحمد ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي في المسجد تدعو ، ثم مر عليها قريبًا من نصف النهار ، فقال : « مازلت على حالك ؟ » قالت : نعم ، قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أعلمك كلمات تعدلهن لو وُزِنَ بهن وُزِنَ ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » . (ثلاثًا) .

والتوحيد أيسر الأعمال ، ومع ذلك فهو أجلها لقوله صلى الله عليه وسلم : « إيمان بالله ، ثم جهاد في سبيله » ، وأمثلة ذلك كثيرة، لكنّ المشقة التي لا تنفك عن العبادة ولا سبيل لتجنبها هي التي يرتفع بها الأجر - فلا يتعمد نتن فمه في الصيام ويترك السواك طمعًا في أجر الخلوف - ولا يتعمد غبار الطريق مع إمكان تجنبه ، لكن إسباغ الوضوء بالماء البارد الذي لا يجد غيره مشقة ترفع الأجر .

يقول ابن عبد السلام : إذا اتحد الفعلان في الشرف والشرائط والسنن والأركان وكان أحدهما شاقًا فقد استويا في أجرهما لتساويهما في جميع الوظائف وانفرد أحدهما بتحمل المشقة لأجل الله سبحانه وتعالى ، فأثيب على تحمل المشقة لا على عين المشقة ، إذ لا يصح التقرب بالمشاق ؛ لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى ، وليس عين المشاق تعظيمًا ولا تقربًا . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

[قواعد الأحكام جـ١ ص٣٦]

■ **الحيض وأثره في الحج :**

كتب الله الحيض على المرأة ، وهو أهم أمارات البلوغ والتكليف ، ويترتب عليه أحكام كثيرة في الصلاة والصوم والطهارة وقراءة القرآن والجماع والطلاق والعدة ، وغير ذلك ، وله في الحج أحكام نجملها في :

١- **الطواف** : لا يمنع الحيض شيئًا من أعمال الحج إلا الطواف ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ، رضي الله عنها : « افعلي ما يفعل الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت » .

ويسقط به طواف القدوم إذا جاء في وقت القدوم ؛ لحديث عائشة السابق ، كما يسقط به طواف الوداع إذا جاء في آخر عهدها البيت واستمر حتى خروجها من حدود مكة ، لما جاء في البخاري من حديث عائشة ، رضي الله عنها ؛ أن صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم حاضت ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أحابستنا هي ؟ » قالوا : إنها قد أفاضت ، قال : « فلا إذًا » .

وفي البخاري عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : رُخص للحائض أن تنفر إذا أفاضت ، أما طواف العمرة وطواف الإفاضة فلا يسقط شيء منهما بالحيض ، إنما تنتظر حتى تطهر ، ثم تطوف ، إلا أن الحائض إذا دخلت بعمرة قبل الحج ولم تطهر إلا بعد أن نفرت للحج ، فإن طوافها يجزئ عن حجها وعمرتها ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ،

رضي اللّه عنها : ((إن طوافك أجزأ عن حجك وعمرتك)) .

٢- **الغسل للحج** : أمر النبي صلى اللّه عليه وسلم عائشة ، رضي اللّه عنها ، لما حاضت وقدمت مكة قبل طوافها بالبيت ، قالت عائشة ، رضي اللّه عنها : فأمرني النبي صلى اللّه عليه وسلم أن أغتسل وأنقض رأسي وأمتشط وأهل بحج وأترك العمرة ، ففعلت ذلك حتى قضيت حجتي .

■ **الغيرة والتنافس** :

الغيرة شعور فطري ، ويقع بين الأقران ، ويقع بين الزوجين ، وأشده غيرة النساء إذا كان للمرأة ضرائر ، وأصل الغيرة للنساء فطري غير مكتسب فلا تلام فيه ، لكن إذا أفرطت في الغيرة بقدر زائد تلام على الزيادة ، وفي الحديث عن جابر بن عتيك الأنصاري أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال : ((إن من الغيرة ما يحب اللّه ، ومنها ما يبغض اللّه ؛ فأما الغيرة التي يحب اللّه فالغيرة في الريبة ، وأما الغيرة التي يبغض اللّه فالغيرة في غير ريبة)) .

فغيرة الرجل على زوجته من سائر الرجال ؛ لأنه يمتنع أن يكون للمرأة زوجين بطريق الحلال ، أما المرأة فيقول ابن حجر : فحيث غارت من زوجها في ارتكاب محرم ، إما بالزنا مثلاً أو بنقص حقها وجور عليها لضرتها وإيثارها عليها ، فإذا تحققت ذلك أو ظهرت القرائن فيه فهي غيرة مشروعة ، فلو وقع ذلك بمجرد توهم عن غير دليل فهي الغيرة في غير ريبة ، وأما إذا كان الزوج مقسطاً عادلاً وأدى لكل من الضرتين حقها فالغيرة منهما إن كانت لما في الطباع البشرية التي لم يسلم منها أحد من النساء ، فتعذر فيها ما لم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء في ذلك . (انتهى) .

فانظر ما وقع بسبب الغيرة من عائشة أن أعمر النبي صلى اللّه عليه وسلم ضرائرها فطيب خاطرها بهذه العمرة ، لتتساوى مع ضرائرها ، مبينًا حكمًا شرعيًّا بياتًا شافيًا أن العمرة في ذلك مباحة للعذر ، وأن الأجر فيها بقدر النصب .

وانظر ، فالنبي صلى اللّه عليه وسلم لما علم غيرة عائشة ، رضي اللّه عنها ؛ لأنه طاف بزوجاته فأعمرهن وتركها ، وجدت في نفسها ، ولكن كأني به لو خرج بنفسه لعمرتها لغارت غيرها من الزوجات أو سألت أن تخرج معها للعمرة إذا خرج معها بنفسه ، من أجل ذلك أمر بها عبد الرحمن أخوها أن يعمرها ، وفي ذلك نذكر ما أخرجه البخاري عن عائشة ، رضي اللّه عنها ، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ضرب لنفسه خباءً يعتكف فيه في رمضان ، فاستأذنته عائشة ، رضي اللّه عنها ، فضربت لنفسها خباءً ، فأمرتها حفصة أن تستأذن لها في خباء فأذن لها ، فلما رأت زينب ذلك ضربت لنفسها خباءً ، فلما انصرف النبي صلى اللّه عليه وسلم من صلاة الصبح نظر الأخبية فقال : ((آلبر أردن بهذا ؟ ما أنا بمعتكف)) .

لذا فإنه صلى اللّه عليه وسلم طيب خاطرها بغير أن يفعل ما تغار به الزوجات ، وفي ذلك جاء أن عائشة ، رضي اللّه تعالى عنها ، تقول في بعض روايات الحديث : ((فاحتبس النبي صلى اللّه عليه وسلم بالحصبة لأجلي)) ، فكأنها وجدت في نفسها لما طاف بزوجاته ، ولكن عوض ما في نفسها أنه احتبس لأجلها ، ويذكر ذلك بما جاء في البخاري وغيره من لعب الأحباش ونظرها لهم من بين كتف النبي صلى اللّه عليه وسلم وإذنه وقولها : ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف يقول لها : أما شبعت أما شبعت ؟ فجعلت أقول : لا لأنظر منزلتي عنده ، وتقول : ما بي حب النظر إليهم ، ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه ، والحديث عن الغيرة يحتاج إلى بسط ليس هذا محله . واللّه أعلم .

هذا وفي عمرة عائشة هذه ، رضي اللّه عنها ، نسك هدم به

أمر الجاهلية ، فضلاً عن كونه أرضى زوجه .

ففي الحديث عند أبي داود والنسائي من رواية ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، قال : واللّه ما أعمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عائشة من التنعيم إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك ، فإن هذا الحي من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون : إذا عفا الوبر وبرأ الدبر ودخل صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر ، فكانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذو الحجة والمحرم .

فانظر كيف هدم أمر الجاهلية فجعل العمرة قبل الحج بعمرته وعمرة الصحابة معه ، وجعلها بعد الحج بعمرة عائشة ، فلو لم يكن من عذر إلا هذا لكفى ؛ لأن هدم أمر الجاهلية من أهم مقاصد الشريعة ، فتدبر .

وأن الحائض يقع طوافها عن الحج والعمرة ، وأن اللّه إذا كتب على بنات آدم أو غيرهن شيئًا لم ينقص به الأجر ولا يضع به الفضل ، إنما المعذور مأجور .

ومثال ذلك : أخرج البخاري في « صحيحه » عن أنس بن مالك ، رضي اللّه عنه ، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم رجع من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة ، فقال : « إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم » ، قالوا : يا رسول اللّه ، وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة حبسهم العذر » .

يقول القرطبي في « تفسيره » : فهذا يقتضي أن صاحب العذر يعطى أجر الغازي ، فقيل : يحتمل أن يكون أجره مساويًا ، وفي فضل اللّه متسع ، وثوابه فضل لا استحقاق ، فيثيب على النية الصادقة ما لا يثيب على الفعل ، واستشهد القرطبي على ذلك بالحديث السابق وحديث : « إنما الدنيا لأربعة نفر » .

وفي البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ، رضي اللّه عنه ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا » .

■ **الإرداف** : أردفه ؛ أركبه خلفه .

في الحديث أن عبد الرحمن أردف عائشة ، رضي اللّه تعالى عنها ، ولذا فإن العلماء اعتنوا بهذه المسألة ذكروها في كتب الفقه ، فمثلاً قال في « الموسوعة الفقهية » : يجوز إرداف الرجل للرجل ، والمرأة للمرأة ، إذا لم يؤد إلى فساد أو إثارة شهوة ؛ لإرداف الرسول صلى اللّه عليه وسلم للفضل بن العباس ، ويجوز إرداف الرجل لامرأته والمرأة لزوجها ؛ لإرداف الرسول صلى اللّه عليه وسلم لزوجته صفية ، رضي اللّه عنها ، وإرداف الرجل للمرأة ذات المحرم جائز مع أمن الشهوة ، وأما إرداف المرأة للرجل الأجنبي والرجل للمرأة الأجنبية فهو ممنوع سدًا للذرائع واتقاءً للشهوة المحرمة . (انتهى) .

وقد جمع ابن منده أسماء من أردف النبي صلى اللّه عليه وسلم فبلغوا ثلاثين نفسًا ، وأحاديث الإرداف مشهورة ، وركوب الثلاثة على الدابة إن كانت مطيقة جائز ، فإن عجزت عن ذلك نهي عنه .

ويظهر من الأحاديث أن الإرداف للغلام الذي يثبت بنفسه والمرأة هو الأولى ، وإن كان الإركاب بين يديه إنما يكون لمن لا يثبت بنفسه أو كان قد أردف خلفه غيره .

وقد أورد البخاري أحاديث الإرداف في آخر كتاب اللباس من « صحيحه » قبل كتاب الأدب .

قال العيني في « العمدة » : ومن ذلك - أي من فوائد الحديث -: جواز الخلوة بالمحارم سفرًا وحضرًا ، وإرداف المحرم لمحرمه معه ، فافهم .

وفي الحديث فوائد أخرى كثيرة على قصر بنيانه ، لكننا نكتفي بما ذُكر ، والحمد للّه رب العالمين .

وكتبه

محمد صفوت نور الدين

القيام بالمسيرات في موسم الحج في مكة المكرمة

سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز
(مفتي عام المملكة العربية السعودية ،
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء)

الحمد لله ، وصلى الله وسلم على رسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهداه .

أما بعد ؛ فإن الله أوجب على عباده المؤمنين البراءة من المشركين في كل وقت ، وأنزل في ذلك قوله سبحانه : ﴿ قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة : ٤] .

وأنزل في ذلك سبحانه في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل : ﴿ براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ [التوبة : ١] .

وصحت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث الصديق ، رضي الله عنه عام تسع من الهجرة يقيم للناس حجهم ويعلن البراءة من المشركين ، ثم أتبعه بعلي ، رضي الله عنه ، ليبلغ الناس ذلك ، وبعث الصديق ، رضي الله عنه ، مؤذنين مع علي ، رضي الله عنه ، ينادون في الناس بكلمات أربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فأجله إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فله أربعة أشهرٍ يسيح في الأرض ، كما قال عز وجل : ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾ الآية [التوبة : ٢] ، وبعدها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين إذا لم يسلموا كما قال عز وجل في سورة « التوبة » : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحُرُمُ ﴾ [التوبة : ٥] ، يعني الأربعة التي أجلها لهم عليه الصلاة والسلام في أصح قولي أهل العلم في تفسير الأشهر المذكورة في هذه الآية .

﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصدٍ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفورٌ رحيمٌ ﴾ [التوبة : ٥] .

هذا هو المشروع في أمر البراءة ، وهو الذي أوضحته الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وبينه علماء التفسير في أول تفسير سورة براءة « التوبة » .

أما القيام بالمسيرات والمظاهرات في موسم الحج في مكة المكرمة أو غيرها لإعلان البراءة من المشركين فذلك بدعة لا أصل لها ، ويترتب عليه فساد كبير وشر عظيم ، فالواجب على كل من كان يفعله تركه ، والواجب على الدولة –

باسم البراءة من المشركين بدعة لا أصل لها

وفقها اللَّه – منعه لكونه بدعة لا أساس لها في الشرع المطهر ، ولما يترتب على ذلك من أنواع الفساد والشر والأذى للحجيج وغيرهم ، واللَّه سبحانه يقول في كتابه الكريم : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعوني يحببكم اللَّه ﴾ الآية [آل عمران : ٣١] ، ولم يكن هذا العمل من سيرته عليه الصلاة والسلام ولا من سيرة أصحابه ، رضي اللَّه عنهم ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، وقال سبحانه : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللَّه ﴾ [الشورى : ٢١] ، وقال عز وجل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر : ٧] ، وقال الرسول صلى اللَّه عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . متفق على صحته ، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن جابر ، رضي اللَّه عنه ، في خطبة الجمعة ، أما بعد : « فإن خير الحديث كتاب اللَّه ، وخير الهدي هدي محمد صلى اللَّه عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » . أخرجه مسلم في صحيحه ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . أخرجه مسلم أيضًا ، وقال صلى اللَّه عليه وسلم في حجة الوداع : « خذوا عني مناسككم » ، ولم يفعل صلى اللَّه عليه وسلم مسيرات ولا مظاهرات وهكذا أصحابه بعده رضي اللَّه عنهم فيكون إحداث ذلك في موسم الحج من البدع في الدين التي حذر منها النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، وإنما الذي فعله عليه الصلاة والسلام بعد نزول سورة « التوبة » هو بعث المنادين في عام تسع من الهجرة ليبلغوا الناس أنه لا يحج بعد هذا العام – يعني عام تسع – مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، وأنه لا يدخل الجنة إلاَّ نفس مؤمنة مع نبذ العهود التي للمشركين بعد أربعة أشهر إلا من كان له عهد أكثر من ذلك فهو إلى مدته ، ولم يفعل صلى اللَّه عليه وسلم هذا التأذين في حجة الوداع لحصول المقصود بما أمر به من التأذين في عام تسع ، والخير كله والسعادة في الدنيا والآخرة في اتباع النبي صلى اللَّه عليه وسلم والسير على سنته وسلوك مسلك أصحابه ، رضي اللَّه عنهم ؛ لأنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم وأتباعهم بإحسان ، كما قال اللَّه عز وجل : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

واللَّه المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين لعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين والسير على منهج سيد المرسلين وأصحابه المرضيين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن ونزغات الشيطان ومن البدع في الدين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى اللَّه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

الرقم (١٣)

بين الضدين

الحلقة الأخيرة

بقلم الدكتور / محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة البحوث ، ومستشار مكتب سماحة مفتي المملكة العربية السعودية)

وعن الرقم (١٣) فقد جاءت فكرته عندهم ، من جمع أرقام الآحاد والعشرات والمئات والألوف إن كان في الرقم ألوف ، من كل سنة ميلادية ، حصل فيها انهزام للصليبيين في حروبهم أمام جيوش المسلمين ليصبح الرقم (١٣) هو حاصل الجمع ، وهذا فيه مدخل من مداخل التنجيم والتشاؤم من مطالع النجوم ، الذي ينهى عنه الإسلام .

ولكي يدرك المسلم هذا السر الذي رسخه مؤرخوهم القدامى ، وبثوا أثره في قلوب قادتهم لتخويفهم من هذا الرقم ، وما يحمل من نذائر شؤم ، فقد أيده المنجمون عندهم ، وأن عليهم ألا يقدموا على أي معركة مع المسلمين ، يبرز في مجموع سنواتها الرقم (١٣) ، ويشتد الأمر إذا اقترن هذا الرقم مع يوم الجمعة ، لما في ذلك من نذارة الهزيمة ، إذْ لذلك نماذج في حياتهم من حيث التشاؤم بالطالع والزاجر ، كما كانت تعتقد العرب في جاهليتها ، حيث مقت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ذلك ، وحذرت منه تعاليم شريعة الإسلام ، إبعادًا وتشديدًا .

وسأورد هنا على سبيل المثال لا الحصر النماذج التالية التي توثق عقيدتهم في التشاؤم بهذا الرقم :

١- في عام ٥٢٤ هـ ذكر ابن الأثير في « تاريخه » : أن عماد الدين زنكي ، أمر عسكره أن يتجهزوا للغزو ، وقصد حلب ، فقوي عزمه على قصد حصن الآثارب ، ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين ، وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها ، ويضيقون عليهم معيشتهم فأظفره اللّه بمن فيه ، وتسلم الحصن عنوة ، وضعفت قوة الصليبيين بعد ذلك ، حيث انهزموا في كثير من ديار المسلمين بالشام ذلك العام . [الكامل : ١٠:٦٦٢] .

وهذا التاريخ يوافق بالإفرنجي - وهو تاريخهم الميلادي - عام ١١٢٩ م ، ولو جمعنا أرقام هذا العام لخرجت ١٣ هكذا (٩ + ٢ + ١ + ١ + = ١٣) .

٢- ذكر الدكتور سالم الرشيدي : في كتابه « محمد الفاتح » ، الذي قدم لطبعته الثانية الشيخ علي الطنطاوي :

أ- أن العثمانيين حاصروا أمير جزيرة لسبوس الجنوبي عام ٨٦٧ هـ ، وكان فيها المؤرخ جان دوكاس ، الذي ينتمي لإحدى الأسر البيزنطية العريقة في السيادة الإمبراطورية فدكوا أسوارها بالمدافع ، وسقطت في أيديهم ، وانهزم النصارى ، وقد روي أن المذكور قد كتب تاريخه في ذلك العام ، فنفث فيه سموم ضد المسلمين ، وظهرت منه عداوته الحقيقية . [ص١٢ من هذا الكتاب] .

وهذه السنة تعتبر في نظر ذلك الكاتب ، نهاية الدولة البيزنطية على أيدي المسلمين عام ١٤٦٢ م ، الذي هو عام ٨٦٧ هـ ، وبجمع أرقام ذلك التاريخ الميلادي ، يخرج الناتج (١٣) ثلاثة عشر هكذا (٢ + ٦ + ٤ +١ = ١٣) .

ب- أن السلطان محمد الفاتح ، قد استولى على القسطنطينية عاصمة الرومان قرونًا متطاولة ، حيث سقطت أمام جيوشه عام ٨٥٧ هـ ، بعد حصار طويل وقوي ، تهاوت معه قلاع الصليبيين وقوتهم ، واحدًا بعد الآخر ، وكان فتحًا مبينًا للمسلمين ، استبشروا به ، وتحولت معه أكبر كنائس النصارى في هذه المدينة المسماة : « أيا صوفيا » إلى مسجد ، صلى فيه القائد : محمد الفاتح بمن معه من المسلمين الجمعة الأولى في تاريخ هذه المدينة ، حيث أصبحت من هذا التاريخ قاعدة إسلامية ، تهز حصون الصليبيين ، وتقض مضاجعهم ، وسميت منذ ذلك اليوم إسلام بول ، أي مدينة الإسلام . ونطقت إسطامبول .

وكان من المحصورين فيها ، وممن شهد سقوطها المؤرخ (جورج فرانترتس) صديق الإمبراطور قسطنطين وأمينه ، وصاحب مشورته ، الذي يعتد برأيه ، وهو رجل حقود انعكس تاريخه على كل منافس له ، فكيف بمن استولى على بلده ، وطرده منها ، وحول معابدها من عقيدة المؤرخ الفاسدة ، إلى دين الإسلام الحق . [المصدر السابق ص١١] .

وهذه السنة توافق بالميلادي عام ١٤٥٣ م ، وبجمع هذه الأرقام ، يخرج الناتج ثلاثة عشر (٣ + ٥ + ٤ + ١ = ١٣) .

٣- أما الرجل الثاني في توطيد أركان دولة الإسلام في الأندلس ، القائد المظفر ، الذي لم تنهزم له راية أمام الإفرنج ، حتى أنه ألجأهم إلى جبال البرانس في الشمال ، القريبة من فرنسا ، وحقد عليه مؤرخوهم ، كما ذكر ذلك المؤرخ محمد عبد الله عنان في كتابه « دولة الإسلام في الأندلس » ، فهو عبد الرحمن الناصر ابن الحاكم الأموي ، وقد استهل حروبه معهم عام ٣٠٠ هـ ، وهذا التاريخ يوافق بتاريخ الإفرنج عام ٩١٣ م ، وبجمع أرقامه يصبح الناتج ثلاثة

عشر ، هكذا : (٣ + ١ + ٩ = ١٣) .

مع أن رقمي الآحاد والعشرات أيضًا هو رقم ١٣ .

وهكذا لو سرنا مع وقائع التاريخ ، والحروب الصليبية ، فإننا سنجد ارتباطًا وثيقًا بين الحوادث التي اهتم بها مؤرخوهم ، وأحدثت نكسة عليهم ، وبين هذا الرقم ، الذي اعتبروه شؤمًا عليهم ؛ لأن كل راية لهم ترفع أمام راية الإسلام تسقط بتوفيق اللَّه ، ودولتهم أمام زحف الإسلام تتزحزح ، وعزهم أمام مكانة الإسلام وعزته ينخذل ، فهم يريدون أن يوهموا السذج بأن سرّ هذا ليس قوة الإسلام ، وإنما هو الرقم (١٣) ، والمتخذ تشاؤمه من طالع النجوم كضرب من ضروب السحر ، واتباع الشياطين ، لكنهم يعزون السر للرقم (١٣) دون تعليل .

وإذا أردنا أن نأخذ أمثلة أخرى ، ففي عام ١٣ هـ ، حيث فتحت مدن الشام : دمشق ، بيسان ، طبرية ، وغيرها حيث تحولت لمدن إسلامية ، حسبما ثبت تاريخيًا ، بعد أن طرد المسلمون الروم من الشام إلى الأبد ، وأخذت الجزية ممن أراد البقاء في تلك الديار ، وعندما قال أحد قوادهم : سلام عليك يا سوريا ، سلامًا لا رجعة بعده أبدًا ، فإنها توافق بتاريخهم الميلادي ٦٣٤ م ، وبجمع أرقام هذا التاريخ تظهر النتيجة هكذا (٤ + ٣ + ٦ = ١٣) ، مع أن هذا التاريخ صادف (١٣) في التاريخ الهجري الإسلامي ، ولكن يعنينا ما ثبت في تاريخهم الميلادي الروماني الذي تنبعث منه عقيدتهم . [راجع حوادث عام ١٣ عند الطبري وابن كثير وابن الأثير] .

وحوادث عام ٥٧٩ هـ ، حيث غزا صلاح الدين الأيوبي بلاد الكرك ، وطرد الصليبيين منها ، وفيها أيضًا تم حصار قلعة البيرة الهامة في الشام ، واستسلام صاحبها وهي من معاقل الصليبيين الهامة ، لقربها من القدس . [يراجع في هذا حوادث هذا العام عند ابن كثير وابن الأثير في تاريخه] .

فإن تلك السنة توافق في تاريخ الإفرنج عام ١١٨٣ م ، وبجمع أرقام هذا التاريخ تظهر النتيجة (١٣) هكذا (٣ + ٨ + ١ + ١ = ١٣) ، وهلم جرا .. وقد يكون هذا الرقم أيضًا له جذور ومعتقدات في وقائعهم قبل الإسلام مع الأمم الأخرى ، أو أنه ربط بوقائعهم مع الإسلام ، لربط بني جلدتهم بما ينفرهم من الإسلام ، والدخول فيه تصديقًا لقول اللَّه سبحانه : ﴿ ولن ترضى عنك اليود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى اللَّه هو الهدى ﴾ الآية [البقرة : ١٢٠] .

ومع ذلك إلا أن من يتتبع أهم الوقائع بين المسلمين والنصارى ، منذ فجر الإسلام ، فإنه سيرى أنه من رحمة اللَّه بعباده المسلمين أن تتم غلبتهم عليهم في سنوات يأتي مجموع أرقامها (١٣) مما يجسمه مؤرخوهم، فيجعلونه يومًا أسودًا في حياتهم ، يرتبط بدلالة هذا الرقم (١٣) ، الذي يتوارثونه جيلاً بعد جيل ، على أنه مصدر شؤم لهم ، يتناذرون عنه ، وترسخ نتائجه في أذهانهم ، منذ الصغر جيلاً بعد جيل .

أما نحن معاشر المسلمين ، فيجب أن نخالفهم ، كما هي سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في الأمر بمخالفة أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - حيث نبتهج بتلك السنوات التي تمثل هذا الرقم ، ونحمد اللَّه أن خصنا اللَّه بيوم الجمعة ، الذي هو عيد الأسبوع عندنا ؛ لأن ذلك مما

يبعث النشوة عند المسلمين بصدورهم في ذلك ، عن أوامر شرعية في مصدري الإسلام : كتاب اللَّه ، وسنة رسوله صلى اللَّه عليه وسلم ، ولما تحقق فيها من مواقف مشرفة ، حيث نصر اللَّه فيها دينه ، وخذل أعداءه ، فارتفعت راية الإسلام ، وعلا صوت الحق الذي جاء من عند اللَّه ، وصار الأذان يعلو مناديًا ، بإقامة الصلاة ، وحث الناس على عبادة اللَّه وحده ، وهذا مما يغيظ أعداء اللَّه ، وأعداء دين الإسلام ، من الإنس والجن ، ذلك أن تشاؤمهم بيوم الجمعة يوازي تشاؤمهم بالرقم (١٣) ، ونحن المسلمين نصرنا اللَّه فيهما .

فعلى شباب الإسلام أن يعي ذلك جيدًا ، حتى يفهموا تاريخ أمتهم ، ليرسخ في الأذهان مقترنًا بالعقيدة الصحيحة ، وحتى لا يكون مثقفو الأمة مقلدين لغيرهم ، فإن عليهم ألا يتكلموا بما لا يعرفون معناه ، وما يُرْمَى إليه بمغزى آخر ، جذوره غير جذور الإسلام ، بل يتباين الهدف مع الإسلام وما يأمر به ، كما أن عليهم ألا يميلوا مع ما لا يدركون نتائجه البعيدة في حياة المسلمين وتاريخهم ، وما يراد سواء من هذا الرقم (١٣) أو غيره ، حيث يحاول بعضهم صياغته بنماذج شتى ، منها التشاؤم كما هو عند النصارى ، ومنها الابتداع في دين الإسلام ، كما هو في خرافة الرؤيا المنسوبة كذبًا لزينب ، رضي اللَّه عنها ، وألا يفتحوا باب التشاؤم الذي نهت عنه تعاليم الإسلام ، أو الاتكال بدون عمل ، فيفتحوا على أنهم باب شر بقصد أو بغير قصد ؛ لأن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » . وبهذا يتضح أن الإسلام لا يعطي خصائص لهذا الرقم ، والخير والمصلحة في تعاليمه .

واللَّه من وراء القصد .

مكانة الهداية

ذكر الخالديان في كتابهما « التحف والهدايا » : أن علي بن العباس الكاتب قال : كان أبو العباس السفاح يعرف عمارة بن حمزة مولاه بالكبر ، وعلو الهمة والقدر ، وشدة التنزه ، فجرى بينه وبين أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية زوجته يومًا كلامًا ، فاخرته فيه بأهلها ، فقال لها السفاح : أنا أحضر لك الساعة على غير أهبة ، مولى من موالي ليس في أهلك مثله .

ثم أمر بإحضار عمارة بن حمزة على الحال التي يكون عليها ، فأتاه الرسول في الحضور ، فاجتهد في تغيير زيه ، فلم يدعه وجاء به إلى السفاح ، وأم سلمة خلف الستر ، وإذا عمارة في ثياب ممسكة ، قد لط لحيته بالغالية - أي غطاها بالطيب - حتى قامت واستتر شعره ، فقال : ما كنت أحب أن يراني أمير المؤمنين على هذه الحال ، فرمى إليه بمنديل كان بين يديه فيه غالية - نوع من الطيب الفاخر - فقال : يا أمير المؤمنين ، أترى لها في لحيتي موضعًا .

فوجهت إليه أم سلمة عقدًا له قيمة جليلة ، فدفعته إليه مع الخادم ، وقالت للخادم : أعلمه أنني أهديته إليه ، فتركه بين يديه ، وشكر السفاح ، وتركه ونهض ، فقالت أم سلمة لأبي العباس السفاح : إنما أنسيه ، فقال للخادم : ألحقه به ، وقل له : هذا هدية أم سلمة إليك لم خلقته ؟ فاتبعه الخادم وقال : هذا لك ، فلم تركته ؟ فقال : ما هو لي فأرده ، فلما عرفه أن أم سلمة أهدته إليه قال : إن كنت صادقًا فقد وهبته لك ، فانصرف الخادم بالعقد ، وعرف السفاح ما جرى ، فقالت أم سلمة : اردد علي عقدي ، فامتنع الخادم من رده وقال : قد وهبه لي الذي وهبته له ، فلم تزل به إلى أن ابتاعته منه بعشرة آلاف دينار .

[التحف والهدايا ص١٤٣] .

فضل الصحابة والنهي عن سبهم

بقلم الشيخ الدكتور / صالح الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

الصحابة جمع صحابي : وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات على ذلك ، والذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة وخير القرون لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد معه وتحمل الشريعة عنه وتبليغها لمن بعدهم ، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه ، قال تعالى : ﴿ والسابقون الأوّلون من المُهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماءُ بينهم تراهم رُكعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجب الزُّراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدُون في صدورهم حاجةً مما أوتُوا ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومن يُوق شحَّ نفسه فأولئك هم المُفلحون ﴾ [الحشر : ٨، ٩] .

ففي هذه الآيات أن الله سبحانه أثنى على المهاجرين والأنصار ووصفهم بالسبق إلى الخيرات ، وأخبر أنه قد رضي عنهم وأعد لهم الجنات ووصفهم بالتراحم فيما بينهم والشدة على الكفار ، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود ، وصلاح القلوب وأنهم يُعْرفون بسيما الطاعة والإيمان وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ليغيظ بهم أعداءه الكفار ، كما وصف المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ، نصرة لدينه وابتغاء فضله ورضوانه ، وأنهم صادقون في ذلك ، ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنصرة والإيمان الصادق ، ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم ، ومواساتهم لهم وسلامتهم من الشح ، وبذلك حازوا على الفلاح ، هذه بعض فضائلهم العامة ، وهناك فضائل خاصة ومراتب يفضل بها بعضهم بعضًا ، رضي الله عنهم ، وذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة .

فأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، وهم هؤلاء الأربعة وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، ويفضلُ المهاجرون على الأنصار ، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ، ويفضل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح .

● مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال والفتنة :

● سبب الفتنة :

تآمرَ اليهود على الإسلام وأهله ، فدسوا ماكرًا خبيثًا تظاهر بالإسلام كذبًا وزورًا ، وهو عبد اللَّه بن سبأ من يهود اليمن ، فأخذ هذا اليهودي ينفث حقده وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين : عثمان بن عفان ، رضي اللَّه عنه وأرضاه ، ويختلق التهم ضده ، فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان ومحبي الفتنة ، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان ، رضي اللَّه عنه ، مظلومًا وعلى أثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين وشبت الفتنة بتحريض من اليهودي وأتباعه ، وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم .

قال شارح « الطحاوية » : إن أصل الرفض إنما يحدثه منافق زنديق ، قصده إبطال دين الإسلام والقدح في الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ، كما ذكر ذلك العلماء ، فإن عبد اللَّه بن سبأ لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه ، كما فعل بولس بدين النصرانية فأظهر التنسك ، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى سعى في فتنة عثمان وقتله ، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له ليتمكن بذلك من أغراضه ، وبلغ ذلك عليًا فطلب قتله ، فهرب منه إلى قرقيس ، وخبره معروف في التاريخ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه اللَّه : فلما قتل عثمان ، رضي اللَّه عنه ، تفرقت القلوب وعظمت الكروب ، وظهرت الأشرار وذل الخيار وسعى في الفتنة من كان عاجزًا عنها ، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته ، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه ، وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ وأفضل مَنْ بقي ، لكن كانت القلوب متفرقة ونار الفتنة متوقدة فلم تتفق الكلمة ، ولم تنتظم الجماعة ، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير ودخل الفرقة والفتنة أقوام ، وكان ما كان[1] .

وقال أيضًا مبينًا عذر المتقاتلين من الصحابة في قتال معاوية : ومعاوية لم يدَّعِ الخلافة ولم يبايع له بها حين قاتل عليًا ولم يقاتل على أنه خليفة ولا أنه يُستحق الخلافة ، ويقرون له بذلك ، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه : ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليًا وأصحابه بالقتال ولا يعلوا ، بل لما رأى علي ، رضي اللَّه عنه وأصحابه ، أنه يجب عليهم طاعته ومبايعته إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد ، وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب وهم أهل شوكة ، رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب فتحصل الطاعة والجماعة ، وهم - أي علي ومعاوية ومن معه - قالوا : إن ذلك لا يجب عليهم ، وأنهم إذا قاتلوا على ذلك كانوا مظلومين ، قالوا : لأن عثمان قتل مظلومًا باتفاق المسلمين ،

وقَتَلتُهُ في عسكر علي وهم غالبون لهم شوكة ، فإذا امتنعنا ظلمونا واعتدوا علينا ، وعلي لا يمكنه دفعهم كما لم يمكنه الدفع عن عثمان وإنما علينا أن نبايع خليفة يقدر على أن ينصفنا ويبذل لنا الإنصاف .

ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة يتلخص في أمرين :

الأمر الأول : أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة ويكفون عن البحث فيه ؛ لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا ، ويقولون : ﴿ رَبَّنَا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنَّك رءوفٌ رحيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

الأمر الثاني : الإجابة عن الآثار المروية في مساويهم وذلك من وجوه :

الوجه الأول : أن هذه الآثار منها ما هو كذب قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم .

الوجه الثاني : أن هذه الآثار منها ما قد زيد ونقص فيه وغُيِّرَ عن وجهه الصحيح ودخله الكذب ، فهو لا يُلتفتُ إليه .

الوجه الثالث : أن ما صح من هذه الآثار - وهو القليل - هم فيه معذورون ؛ لأنهم إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون - فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد ، والخطأ مغفور لما في الحديث ؛ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد »[٢] .

الوجه الرابع : أنهم بشر يجوز على أفرادهم الخطأ ، فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد ، لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة منها :

١- أن يكون قد تاب منه ، والتوبة تمحو السيئة مهما كانت ، كما جاءت به الأدلة .

٢- أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم - إن صدر - قال تعالى : ﴿ إنَّ الحَسَنَاتِ يُذهبنَ السَّيئاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ، ولهم من الصحبة والجهاد مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ما يغمر الخطأ الجزئي .

٣- أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ، ولا يساويهم أحد في الفضل ، وقد ثبت بقول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أنهم خير القرون ، وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أحد ذهبًا إذا تصدق به غيرهم[٣] ، رضي اللَّه عنهم وأرضاهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه اللَّه : وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم ، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم ، واللَّه تعالى يغفر لهم بالتوبة ، ويرفع بها درجاتهم ، ويغفر لهم بحسنات ماحية ، أو بغير ذلك من الأسباب ، قال تعالى : ﴿ والذي جاءَ بالصدقِ وصدَّق به أولئكَ هم المُتقونَ ۞ لهم ما يشاءُونَ عندَ ربهم ذلك جزاءُ المُحسنين ۞ ليُكفر اللَّهُ عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴾ [الزمر : ٣٢- ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ حتَّى إذا بلَغ أشُدَّهُ وبلغ أربعين سنة قال ربِّ أوزعْني أن أشكُر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاهُ وأصلح لي في ذُريَّتي إنِّي تُبتُ إليكَ وإني من المسلمين ۞ أولئكَ

الذين نَتَقَبَّلُ عنهم أحسن ما عمِلُوا ونتجاوزُ عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ﴾ [الأحقاف : ١٥، ١٦] . انتهى .

وقد اتخذ أعداء اللَّه ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف والاقتتال سببًا للوقيعة بهم والنيل من كرامتهم ، وقد جرى على هذا المخطط الخبيث بعض الكتاب المعاصرين الذين يهرفون بما لا يعرفون ، فجعلوا أنفسهم تحكمًا بين أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يصوبون بعضهم ويخطئون بعضهم بلا دليل ، بل الجهل واتباع الهوى وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذنابهم ، حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين ممن ثقافتهم ضحلة بتاريخ أمتهم المجيد ، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون ، لينفذوا بالتالي إلى الطعن في الإسلام وتفريق كلمة المسلمين ، وإلقاء البغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح والعمل بقوله تعالى : ﴿ والذين جاءُوا من بعدهم يقولون ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوفٌ رحيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

● النهي عن سب الصحابة :

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، كما وصفهم اللَّه بذلك في قوله تعالى : ﴿ والذين جاءُوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوفٌ رحيم ﴾ [الحشر : ١٠] .

وطاعة لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في قوله : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه »(٤) .

ويتبرءون من طريقة الرافضة والخوارج الذين يسبون الصحابة ، رضي اللَّه عنهم ، ويبغضونهم ويجحدون فضائلهم ويكفرون أكثرهم .

وأهل السنة يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ويعتقدون أنهم خير القرون كما قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « خيركم قرني .. » الحديث(٥) .

ولما ذكر صلى اللَّه عليه وسلم افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وأنها في النار إلا واحدة ، وسألوه عن تلك الواحدة ؟ قال : « هم مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي »(٦) .

قال أبو زرعة - وهو أجل شيوخ الإمام مسلم -: إذا رأيت الرجل يتنقص أمراً من الصحابة فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن القرآن حق ، والرسول حق ، وما جاء به حق ، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة ، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة ، فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق .

قال العلامة ابن حمدان في « نهاية المبتدئين » : من سب أحدًا من الصحابة مستحلاً كفر ، وإن لم يستحل فسق ، وعنه يكفر مطلقًا ، ومن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر . واللَّه أعلم .

---

(١) مجموع الفتاوى : (٣٠٤/٢، ٣٠٥) .
(٢) في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص ، رضي اللَّه عنه .
(٣) في الحديث المتفق عليه .
(٤) الحديث متفق عليه .
(٥) الحديث في الصحيحين .
(٦) رواه الإمام أحمد وغيره .

حوار التوحيد مع :

الأستاذ الدكتور / علي أحمد السالوس

(أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة جامعة قطر)

أجرى الحوار / جمال سعد حاتم

- عندما كان عندنا اقتصاد إسلامي كنا نملك اقتصادنا ، ونملك قرارنا الاقتصادي .
- البديل الإسلامي للبنوك الربوية موجودًا وأصبح واقعًا في العالم الإسلامي كله .
- متى أصبحت الدول الإسلامية تملك قرارها أصبح إنشاء السوق الإسلامية أمرًا يسيرًا .

شنت أجهزة الإعلام العلمانية في الآونة الأخيرة هجمة شرسة على البنوك الإسلامية ، زاعمة أنه ليس هناك فرق بينها وبين البنوك الربوية . وللأسف الشديد نتعجب كيف نجد أناسًا من المسلمين يدافعون عن البنوك الربوية .. التي نشأت على يد اليهود !! وبين الهوان والمذلة نجد المسلمون قد أصبحوا لا يملكون اقتصادهم ولا يملكون قرارهم ، وعن البديل للقرض من البنوك الإسلامية ، وأن العالم مقبل على كارثة بسبب نظام الفائدة ، وأن هذا النظام هو سبب التضخم .. وأن العالم سينهار إذا استمر الحال هكذا !!

وعن البنوك الإسلامية وهل ساهمت هذه البنوك في اقتصاديات الدول الإسلامية ، وقامت بدورها كما يجب . وعن السوق الإسلامية المشتركة والعوائق التي توضع أمام تنفيذ هذا الحلم ، وحول عالمية الاقتصاد الإسلامي والنظام البديع الذي يوجب على الدولة أن تهيأ للفرد السكن والزوجة والدابة والخادم متى احتاج إلى ذلك .. بما لا يعرفه أي نظام اقتصادي آخر .. والكثير والكثير مما يدور في أذهاننا ، ونحاول أن نصول ونجول مع واحد من أولئك الذين كانت لهم مواقف مشرفة ، ووقفات تأبى إلا أن تتمسك بشرع الله بلا تهاون ولا تفريط ، فكان الحوار مع الأستاذ الدكتور / علي أحمد السالوس ، أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة ، جامعة قطر ، والخبير في الفقه الاقتصادي لمجمع الفقه بمنظمة المؤتمر الإسلامي ، على مدى حلقتين متاليتين . حيث بدأ بيننا الحوار التالي :

□ س : في الآونة الأخيرة شنت أجهزة الإعلام العلمانية هجمة شرسة على البنوك الإسلامية ، زاعمة أنه ليس هناك فرق بينها وبين البنوك الربوية ، فماذا تقول فضيلتكم للرد على هذا الكلام ؟

■ ج : يقول الدكتور : إن الإسلام جاء ليطبق في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة ، وهو كلٌ لا يتجزئ عام شامل كامل ، قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، فالإسلام ليس عبادات فقط ، ولا عقائد فقط ، ولا معاملات فقط ، وإنما يشمل كل الجوانب ، وما حرم ربنا شيئًا إلا وأوجد له البديل ، ولذلك فإن مجمع البحوث الإسلامية عندما اجتمع في مؤتمره الإسلامي سنة ١٩٦٥ م ، ١٣٨٥ هـ بحضور ممثلين عن ٣٥ دولة إسلامية حضره كبار علمائها ودرسوا موضوع البنوك ومعاملات البنوك والقروض ، وانتهى المؤتمر بالإجماع بأن فوائد البنوك من الربا المقطوع بتحريمه بنص الكتاب والسنة ، عندئذ رأى المجمع أنه لا بد من البحث عن البديل ، ولا يكفي بأن نقول : بأن هذا حرام ، وإنما أين الحلال ؟ فدعا المجمع أهل الاختصاص من المسلمين للبحث عن البديل الإسلامي للبنوك الربوية ووضع تصورًا هو نفسه الذي تقوم عليه البنوك الإسلامية

■ الاقتصاد الإسلامي اقتصاد عالمي منذ مبعث الرسالة ؛ لأن الإسلام جاء للناس كافة

حاليًا ، وهو يقوم على أساس أن المودعين في البنك الإسلامي هم أصحاب رأس المال والبنوك الإسلامية عامل المضاربة والاستثمار بالطرق التي أحلها اللّه عز وجل ، ونتيجة الاستثمار فالربح يقسم بنسبة متفق عليها من قبل ؛ نسبة شائعة من الربح وليست من رأس المال .

البنوك الإسلامية والبنوك النظرية

هذه خلاصة النظرية ؛ خلاصة عمل البنوك الإسلامية من الناحية النظرية ، والبنوك الربوية لا نتحدث عنها ؛ لأننا لسنا الذين أنشأناها ، ولذلك نعجب كيف أنا نجد من المسلمين من يدافع عن البنوك الربوية ، بل من يصل به الأمر إلى أن يدافع عنها في جميع أنحاء الأرض مع أنها عندما نشأت منذ قرنين أو أكثر نشأت على أيدي خمسة من الهتشت اليهود ، ونشروها في أوربا ، ولذلك نشأت نشأة يهودية ربوية ، ولا يتصور أن اليهود عندما أنشئوا هذه البنوك درسوا الشريعة الإسلامية والتزموا بها ، الأمر الذي لا يتصوره مسلم ، لو تصورنا أنهم درسوا أحكام الشريعة الإسلامية ، فإنهم يدرسونها ليخالفوها لا ليطبقوها عداء بين الصهيونية العالمية واليهود من جهة ، والمسلمين من جهة أخرى ، هذا العداء المستحكم عرفنا به ربنا عز وجل ، حيث قال : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، إذًا هنا حكم إلاهي : ﴿ لن ﴾ ، إذًا الأمر واضح وجلي .

أما البنوك الإسلامية فإنه بإقرار المجمع لم تنشأ في الحال ، وإنما نشأت بعد عشر سنوات من قرار المجمع ، فبعد مرور سبع سنوات عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية جلسة خاصة وطارئة ، ونظروا في البحث عن البديل للبنوك الربوية ، والأمر لم يكن متعلقًا بدولة عربية أو إسلامية ، وإنما وزراء خارجية كل الدول الإسلامية ، وقدم مشروعات ذلك المؤتمر مثل مشروع قدمته مصر ومشروع قدمته باكستان ، ونظر المؤتمر في المشروعين ، ثم تكونت لجان وتابعت النظر فيهما ، إلى أن تقرر في سنه ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م إنشاء بنك إسلامي يجمع الدول الإسلامية وهو بنك التنمية الإسلامي .

وقد اشترك في إنشائه ٢٦ دولة آنذاك والآن قد بلغ عدد الدول

المشاركة ٤٥ دولة ، وتقوم فكرة البنك الإسلامي على أساس الناحية النظرية التي بينتها المجموعات الإسلامية بالأزهر ، وقبل إنشاء هذا البنك نشأ بنك إسلامي على نفس النظرية ، لكن إنشاء بنك التنمية الإسلامية كان له أثر أكبر ؛ لأنه بنك دول ، ولذلك قرار مجمع البحوث الإسلامية يعتبر تطورًا في مجال الاقتصاد ومراحل الاقتصاد الإسلامي من الناحية النظرية ، وإنشاء بنك التنمية الإسلامية يعتبر تطورًا في المرحلة الخطيرة وحسمًا لموضوع عملي ، وهو الجانب العملي للبنوك الإسلامية ، أما قبل إنشاء البنوك الإسلامية كان الاقتصاديون يخبروننا أنه لا اقتصاد بغير بنوك ، ولا بنوك بغير فوائد ، ومنهم المسلمون ، فلا تبحثوا عن شيء دون البنوك ، إذًا لا بد أن يكون هناك فائدة ، وبغير بنوك لا يكون هناك اقتصاد ، فلما جاء مجمع البحوث من الناحية النظرية ، ثم جاء بعد ذلك إنشاء الناحية العملية بدأت هذه البنوك الإسلامية تنشأ بعد بنك التنمية الإسلامية ، حتى بلغت الآن عددًا كبيرًا جدًا ، وأثبتت هذه البنوك أن البنوك يمكن أن تعيش بغير الفائدة وما قال أحد أغلقوا البنوك ، لا اقتصاد بغير بنوك ، هذه قضية يمكن أن نسلم بها ، مع أن الاقتصاد ظل قرون طويلة بدون بنوك ، وعندما طبق اقتصاد إسلامي منذ عصر الرسول صلى

■ لا تجبر المرأة على العمل في الإسلام ، وإنما ينفق عليها أقرب الرجال إليها .

اللّه عليه وسلم إلى قبيل إنشاء البنوك كان الاقتصاد في العصور الإسلامية في أزهى عصوره ، حتى الدول التي يفترى عليها كالدولة الأموية والدولة العباسية كان اقتصاد الدول الإسلامية يرتجى منه لو قارنا بينهما وبين عصرنا الآن لوجدنا أننا تأخرنا كثيرًا .

□ س : فضيلة الأستاذ الدكتور علي السالوس ، إذا نظرنا إلى البنوك الأخرى التي نشأت نشأة ربوية يهودية ، كيف يكون التعامل بالبيع والشراء والمقايضة في ظل سطوة هذه البنوك ، والحرب الشعواء على البنوك الإسلامية ومحاولة السيطرة على اقتصاديات الدول الإسلامية ؟

■ ج : يقول فضيلته ، وقد بدا على وجهه شيئًا من الأسى : نكاد نكون ضعنا الآن ، نقول : إننا لا نملك اقتصادنا ولا نملك قرارنا الاقتصادي الآن ، في وقتها كنا نملك قرارنا الاقتصادي ، وكان الحال أفضل من هذا بكثير ، إذًا أصبح ثابتًا الآن أن البنوك الإسلامية قامت على جانب نظري في مسألة الإيداع ، لكن على الجانب الآخر فإن البنوك التي نشأت نشأة ربوية يهودية عندما ننظر إلى تعريف البنك في الاقتصاد نجد أن التعريف هو أن البنك هو المنشأة التي تتاجر في الديون وتتعامل في الائتمان عن طريق الاقتراض والإقراض ، ونرى في قانون البنوك المادة (٣٩) يحظر على البنك التجاري التعامل في العقارات والمنقولات في البيع والشراء والمقايضة ، والمال ينقسم إلى عقار ومنقول ، إذًا جميع الأموال لا يجوز أن نتعامل بها ببيع أو شراء أو مقايضة ، إذًا لا يجوز التعامل ، لماذا ؟ لأنه لا يتعامل في سلع ، وإنما يتاجر في النقود ، وهو يأخذ المال ويضمنه مع الفوائد المحددة ، ومن يأخذ منه المال يضمنه مع الفوائد المحددة ، والفرق بين ما يحصله من فوائد وما يدفعه من فوائد تمثل الدخل الرئيسي للبنوك الربوية إذا كان البنك الربوي يأخذ المال كمقترض ويعطي كمقرض ، والبنك الإسلامي يأخذ المال كعامل مضاربة ، كيف يعطي المال وهو لا يقرض ، هنا مجالات الاستثمار المختلفة ، ولذلك خصصت بابًا كاملاً في كتابي « الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة » لبيان العقود البديلة للإقراض الربوي ، هذا باب كامل ذكرت فيه العقود ونماذج من

العقود ، وتعقيب على العقود ليبين أن العقود الإسلامية ما دامت لا تقرض بالربا فما العقود البديلة ؟ العقود البديلة مثل : المضاربة ، الاستثمار ، البيع مرابحة ، والمشاركة عقود كثيرة جدًا .

البديل الإسلامي فرض نفسه

□ س : فضيلة الشيخ ، نرجو من سيادتكم التكرم بتوضيح تلك الجزئية والخاصة بالبديل الإسلامي للقرض الربوي ؟

■ ج : يقول الشيخ : هناك من يلجأ إلى البنك الإسلامي ليقترض فلا يجد قرضًا ، وإنما يجد بديلاً إسلاميًا للقرض ، فعندما نريد قرضًا لبناء بيت نجد عندنا البدائل الإسلامية ، فنجد عقد الاستثمار ، وعقد البيع ، عندنا عقد المشاركة المنتهي بالتمليك .

وعندما نريد قرضًا للاستيراد سلعة ، فالبنك الإسلامي يستوردها لنفسه ويتحمل المخاطر ، ثم يبيعها بعد أن تكون سلعة جاهزة في حوزته ، وذلك تبعًا لقرار مجمع الفقه الإسلامي والذي نص على أنه يجوز للبنك الإسلامي أن يبيع مرابحة بعد أن يشتري السلعة ويتملكها مادام يقع عليه تبعة هلاكها قبل التسليم ، وتبعة الرد فيما يستوجب الرد بعد التسليم ، إذًا البديل الإسلامي موجود ، والبنوك الإسلامية أصبحت واقعًا في العالم كله ، وليس في العالم الإسلامي فقط .

وأصبحنا نجد أكبر البنوك في العالم تخصص مجالات للاستثمار

■ الزكاة في الإسلام معناها أن نعطي من الزكاة ما يأتي بتمام الكفاية .

الإسلامي ، بحيث تتعامل مع بنوك إسلامية ، وحسب نظامها ، ووجدنا بنكًا مثل (سيتي بنك) أكبر البنوك العالمية يفتح فرعًا كاملاً له في البحرين ، ووجدنا في بلاد أخرى بنوك إسلامية نشأت ، فماذا ينتج عن هذا ؟ فالتليفزيون البريطاني أجرى حوارًا معي ، وسألني سؤالاً وهو أن هناك تقريرًا يبين أن البنوك الإسلامية تزيد بمعدل ١٥٪ سنويًا ، وأنها بعد مدة قليلة سيكون مجموع ما في البنوك الإسلامية نصف ودائع الغير إسلامية ، ثم كان قبل إنشاء (سيتي بنك) فرع إسلامي ؛ لأن (سيتي بنك) سيفتح فرع إسلامي ، السؤال الذي وجه إليَّ هنا : تفسيري لهذه الأمور ؟

فقلت : أولاً إنه بالنسبة (لسيتي بنك) عندما يفتح بنكًا إسلاميًا سوف يفتحه ليس حبًا في الإسلام ، ولا رغبة في نظام الإسلام ، وإنما هو تاجر ويعلم أن الأموال يمكن أن تتدفق عليه مادام يتبع الطريقة الإسلامية ، إلى جانب أن الطريقة الإسلامية أحيانًا تكون أكثر ربحًا ، أما البنوك الإسلامية وإقبال الناس على البنوك الإسلامية ؛ لأن هذا يتفق مع منهج المسلم ، والفرق بين أن مسلم يودع أمواله في بنك وهو يعلم أن هذا حرام ويصبح في صراع بين عقيدته وبين استثمار ماله وبين أن يرى أن هذا حلال يتفق مع عقيدته ، فالأمر الطبيعي أن البنوك الإسلامية تزداد وتنتشر ، وفعلاً هذا ما حدث ، يعني هذا التقرير الذي سألني عنه التلفزيون البريطاني لا أن نقول مثلاً دولة إسلامية أو ناحية إسلامية ما الحل إذًا مادامت البنوك الإسلامية تنتشر بهذه الطريقة لا بد من حل وهو إما أن تضرب البنوك الإسلامية أو تغلق ، وهذا أمر يهدد النظام المصرفي ؛ لأن البنوك الإسلامية تخضع للبنوك المركزية ، ونشأت بقوانين أقرتها الدول الإسلامية . فإذا ضربت ضرب النظام المصرفي ، وشركات توظيف الأموال عندما ضربت لم تكن خاضعة لإشراف الدولة ولا للبنوك المركزية ، فلم تؤثر في الجهاز المصرفي ، إنما هنا تخضع للبنك المركزي ، وبقانون من الدولة وبإشراف الدولة إذًا كيف تضرب إذًا هذا ليس بحل ؟! وإذا كانت الدول تفكر في القضاء على البنوك الإسلامية ، فلماذا تنتشر ؟ ذلك لأنها نظام إسلامي يتيح الخير

للجميع ، ولا يستغل الحاجات ، ويساهم في التنمية ، ولا يتعامل بالفوائد الربوية .

البداية لضرب البنوك الإسلامية

■ ويواصل فضيلة الشيخ حديثه قائلاً : إذًا من هنا يكون المدخل ؛ إن تقول : أن البنوك كلها حلال ، ولا فرق بين البنوك الربوية والإسلامية ، أو البنوك التقليدية والبنوك المسماة بالإسلامية ، وهذه كانت أول خطوة لبيان أنه لا فرق بين هذا وذاك ، مع أن القانون نفسه منظم البنوك يقول بأن هناك فرقًا ، ونفس القانون يقول بأن الوديعة الموجودة في البنك التجاري الربوي هذا مال مضمون بفائدة مضمونة ، والوديعة في البنك الإسلامي وديعة غير مضمونة ، والفائدة غير مضمونة وليست محددة ، وتابعة للربح الفعلي إذًا نفس القانون ينص على أنه هناك خلاف ، هذا ربًا ، وذاك استثمار إسلامي ، ولذلك فهذه الفتوى عندما تصدر بعد فتاوى المجامع الفقهية والمؤتمرات الهدف منها واضح .

والأمر الأغرب أنه لم يكتف بهذا ، وإنما جاءت الحملة الأخيرة التي تفضلت بذكرها وهي محاولة إيهام المسلمين أن نظام ضمان المال مع الفائدة هذا هو النظام الإسلامي ، وأن النظام الآخر الذي يسمى بالإسلامي هذا بعيد عن الإسلام ، فكيف إذا أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ، يعني الاستثمارات الإسلامية هذه بعيدة عن الإسلام ، والتعامل الربوي هذا هو الإسلام !!

ولذلك في كتابي « الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة » تحدثت عن بحث لمدير بنك ربوي في فرانكفورت بألمانيا ، هذا البحث صاحبه رُشح لنيل جائز نوبل بسببه ! فماذا يقول البحث ؟

البحث عنوانه (كارثة الفائدة) ، رجل ألماني ليس مسلمًا ، وقد بين أن العالم مقبل على كارثة بسبب نظام الفائدة ، وأن هذا النظام هو سبب التضخم المستمر لو استمر الحال هكذا فإن العالم سينهار ، إذًا ما الحل ؟

■ وتحدث الرجل عن الحل قائلاً : إن الحل هو الآتي : وهو ألا تحدد الفائدة أصلاً ، وإنما تربط الفائدة بالإنتاج الفعلي ، فالدولة عندما تعطي ٢٠٪ فائدة والإنتاج لم يزيد ، معناها أن التضخم زاد ، إنما نقول هنا : إن الإنتاج زاد ١٠٪ ورأس المال يأخذ نصيبه .

الله يحفظ دينه

وعندما لا يزيد الإنتاج رأس المال لا يأخذ شيء ، معنى ذلك ربط نظام الفائدة بالإنتاج الفعلي .

أحد الاقتصاديين الإسلاميين التقى بـ « تمان » وقال له : هذا يعرف عندنا باسم المضاربة ، بمعنى رأس المال من جانب ، والعمل من جانب ، والربح الفعلي هو الذي يقسم بين الاثنين ، قال : عندكم أين ؟ قال : في الإسلام ، قال : لا نريد الإسلام ، يعني هو تحدث وبين ما هو موجود في الإسلام ، ولكنه لا يريد الإسلام .

ولذلك عقبت على هذا ، فإذا كنا نقول بأن تحديد الفائدة واجب ، وبتمان يقول هذا هو سبب الانهيار ويجب ألا نحدد ، قلت : أيهما أكثر فهمًا للإسلام ، الخواجة بتمان أم الشيخ ؟ حتى هذا انتهى إلى ما انتهى إليه الإسلام من قبل .

فالحملة هذه مقصودة ، وهي ضرب البنوك الإسلامية بطريقة لا تؤثر على الجهاز المصرفي ، وطالبوا بإلغاء البنوك الإسلامية ، لكن وزراة الاقتصاد لم تستجب ، لأنها تعرف أن هذا يؤثر على الجهاز المصرفي ، والله يحفظ دينه .

المضاربة بنظامها هذا هو الإسلام

□ س : هل تعتقد فضيلتكم أن البنوك الإسلامية قد ساهمت في عملية التنمية في بعض البلدان الإسلامية الموجودة فيها بالفعل ؟

■ يقول الدكتور السالوس : نعم ساهمت بعض البنوك الإسلامية في بعض البلدان ، وتساءل فضيلته قائلاً : ولكن هل جميع البنوك الإسلامية قامت بدورها كما يجب ؟ هذا أمر لا نستطيع بأن نقول : إنها قامت بدورها كما يجب نتيجة أنها في عالم كله ربوي ، وإنما هل قامت بالتنمية في بعض البلدان الإسلامية ، فهذا أمر واضح نجده ، فمثلاً عندما أجد بنك فيصل هنا في

مصر له أكثر من ثلاثين شركة ، هذه الشركات لها أثرها في تنمية المجتمع المصري ، على حين لا يستطيع بنك ربوي أن يقوم بهذا ، والأمثلة كثيرة ، ثم نحن نقول من الناحية النظرية ، وأرجو أن نفرق بين الجانب النظري والجانب العملي ، فالجانب النظري لا يجوز أن نناقشه ؛ لأن هذا هو الإسلام ، والمضاربة بنظامها هذا هو الإسلام ، والربا هذا أمر حرمه الإسلام ، هذا أمر لا يجوز أن نناقشه ، وإنما يمكن أن نناقش الجانب العملي التطبيقي ، فنقول : إن البنك الإسلامي أخطأ في كذا وأصاب في كذا .

■ ويضيف فضيلة الشيخ قائلاً : ومجمع البحوث عندما قرر هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة أنشأ بعد هذا مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، والمجمع الفقهي بمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة ، المجمعان بالإجماع انتهيا إلى ما انتهى إليه مجمع البحوث الإسلامية من التحريم ، لكنهما كل من الاثنين دعيا إلى تحسين البديل الإسلامي ، للتعامل مع البنوك الإسلامية وتحسين هذا البديل الإسلامي .

□ س : فضيلة الدكتور ما هو أثر اتفاقية الجات على اقتصاديات الدول الإسلامية ؟

■ ج : الموضوع طويل ، ولكنه بصفة عامة نقول هنا : العالم يحكم بأمور لا تملك الدول الإسلامية منها شيء ، فمثلاً اتفاقية الجات ستفرض على الدول الإسلامية أشياء لصالح الدول الغربية وأمريكا بالذات ، وليس نظرية الجات فقط ، فالأمر يتعلق بنواحٍ كثيرة بالاقتصاد بالإعلام بالتعليم كل هذه الجوانب الآن في العالم الإسلامي تخضع لنظم غير إسلامية .

□ س : تعلو في الأفق هذه الأيام ما يسمى بالشرق أوسطية ومحاولة اقتحام إسرائيل من قبل دول كأمريكا مثلاً في مشاريع اقتصادية وزرعها في وسط الدول الإسلامية ، ماذا ترون فضيلتكم في مثل هذا الادعاء ؟

الوهم الغربي والفساد الإسرائيلي

■ ج : الشرق أوسطية كبديل عن الدول الإسلامية أو العربية وبالذات الإسلامية الآن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أصبح الغرب يرى أن العدو الموجود على الساحة الآن هو الإسلام ، وذلك التوجيه كله ضد الإسلام ، فلو دخلت الدول العربية والدول الإسلامية خرجت إسرائيل ، وإنما الشرق أوسطية تعني دخول إسرائيل ، ومتى دخلت إسرائيل دخل الفساد وانتشر ، إذاً الهدف هو :

أولاً : لصالح إسرائيل .

ثانيًا : الأمر موجه ضد الدول العربية والإسلامية .

الدول الإسلامية لا تملك قرارها

□ س : فضيلة الدكتور ؛ السوق الإسلامية المشتركة أمل يتطلع إليه المسلمون في كل أنحاء العالم الإسلامي ، ورغم العوائق والتكتلات الاقتصادية التي يضعها العالم الغربي لمقاومة وضع إقامة هذه السوق ، فما وجهة نظركم ؟ وما هي العوائق التي تمنع إقامة هذه السوق ؟

■ ج : يقول الأستاذ الدكتور السالوس : إن العائق الأساسي هو أن الدول الإسلامية الآن لا وزن لها في العالم ؛ لأنها لا تملك قرارها ولا تملك طعامها ولا تملك سلاحها .

ومتى أصبحت الدول الإسلامية تملك هذا القرار سيصبح إنشاء السوق الإسلامية أيسر من إنشاء السوق الأوربية المشتركة ؛ لأنه هناك لا يوجد لغة ولا دين ولا عادات ولا تقاليد ، إنما هناك أشياء كثيرة جدًا تدعو إلى إنشاء السوق الإسلامية المشتركة إذًا الأمر يتعلق بالدول الإسلامية أساسًا ، متى أصبحت الدول الإسلامية لها قوة وشوكة وسيادة وتستطيع أن تأخذ قرارها فمن السهل جدًا إنشاء مثل هذه السوق ؛ لأن طبيعة البلاد الإسلامية مهيأة لقيامها .

وللحديث بقية إن شاء الله .

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها :
فضيلة الشيخ / أبي إسحاق الحويني

● ● يسأل القارئ : عبد المجيد أحمد -كفر جرزا - الغياط - محافظة الجيزة :
عن حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، الذي أخرجه مسلم في حديث : « سبعة يظلهم الله في ظله .. » وفيه : « رجلٌ تصدق بشماله حتى لا تعلم يمينه ما انفقت شماله » ، وأن علماء الحديث قالوا : إن هذه الفقرة مقلوبة ، فهل هذا صحيح ؟ وهل هذا الخطأ - إن ثبت - هو من الإمام مسلم أو ممن دونه ؟

■ والجواب بعون الملك الوهاب :

● أن هذا الحديث يرويه يحيى بن سعيد القطان ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : أخبرني خبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، مرفوعًا : « سبعة يظلهم الله ، عز وجل ، في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله .. » . وساق الحديث .

وقد وقعت الفقرة التي سأل عنها السائل مقلوبة في « صحيح مسلم » ، وظن بعض أهل العلم أن هذا الوهم من الإمام مسلم ، ولم يُصب في ذلك ، ولا هو ممن دون مسلم ، فقد نقل الحافظ في « الفتح » (٣/١٤٦) عن الجوزقي قال : سمعتُ أبا حامد بن الشرقي يقول : يحيى القطانُ عندنا واهمٌ في هذا ؛ فتعقبه الحافظ في « الفتح » قائلاً : « والجزمُ بكون يحيى هو الواهم نظرٌ ؛ لأن الإمام أحمد قد رواه عنه على الصواب ، وكذلك أخرجه البخاري هنا عن محمد بن بشار ، وفي « الزكاة » عن مسددٍ ، وكذا أخرجه الإسماعيلي من طريق يعقوب الدورقي وحفص بن عمر كلُهم عن يحيى ، وكأن أبا حامد لما رأى عبد الرحمن قد تابع زهيرًا ترجح عنده أن الوهم من يحيى ، وهو محتملٌ بأن يكون منه لما حدَّث به هذين خاصةً ؛ مع احتمال أن يكون الوهم منهما توارادا عليه » . انتهى كلامه .

● قُلْتُ : وبحث الحافظ هذا يرجح أن الوهم من يحيى القطان ، وكذلك قال ابنُ خزيمة في « صحيحه » ؛ وبيانُه : أن أصحاب يحيى القطان اختلفوا عليه في هذا الحرف ، فرواه : مسدد بنُ مسرهد ، وأحمد بن حنبل ، وعمرو بن علي الفلاّس ، ومحمد بن خلاد ، ويعقوب الدورقيُ ، وحفص بن عمر ، ستتهم عن يحيى القطان بسنده ، فقالوا : « حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه » . ورواه زهير بن حرب ومحمد بن المثنى وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم ، ثلاثتهم عن يحيى القطان ، فرووا اللفظ المقلوب ، ورواه محمد بن بشار عن يحيى القطان باللفظين ، فأخرجه البخاري عنه عن القطان على الصواب ، وأخرجه ابن خزيمة عنه عن القطان باللفظ المقلوب ، وقد رواه محمد بن المثنى عن يحيى القطان على الصواب أيضًا .

فأخرجه البزار في « مسنده » (ج٢/ ق٢،١/١٥٩) ، قال : حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن علي ، قالا : نا يحيى القطان بسنده سواء بلفظ : « ورجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه ، أو ما تنفق يمينه » .

فالحاصلُ : أن محمد بن المثنى ومحمد بن بشار روياه عن يحيى القطان باللفظين معًا ، فدلّ على أن الاختلاف في هذا اللفظ من يحيى القطان دون الرواة عنه ، وهذا هو الصواب الموافق لقواعد المحدثين خلافًا لما ادَّعاهُ البيهقيُّ أن الاختلاف هو من الرواة عن يحيى . واللّه تعالى أعلمُ .

وقد رواه مالك بن أنسٍ وشعبة بن الحجاج وغيرهما عن خبيب بن عبد الرحمن مثله على الصواب من غير قلب . والحمدُ للّه .

* * *

● ● ويسأل القارئ : إبراهيم شعبان حامد :
عن درجة حديث قرأه في « تفسير القرطبي » ، وهو : « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت ، وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض ويقول : عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة » ؟

● الجواب : **أن هذا حديث باطلٌ موضوعٌ .**

ذكره القرطبي في « تفسيره » (١٣/١٧) في تفسير سورة « ق » ، قال العراقي في « تخريج الإحياء » (٤٦٣/٤) : (رويناه في « الأربعين » لأبي هدبة إبراهيم بن هدبة ، عن أنس ، وأبو هدبة هالكٌ) . وذكره الزبيدي في « إتحاف السادة » (٢٦٣/١٠) أن الديلمي أخرجه في « مسند الفردوس » ، وأبو الفضل الطوسي في « عيون الأخبار » ، والقشيري في « الرسالة » ، وإبراهيم بن هدبة ، قال الدارقطني : متروكٌ ، وكذلك قال النسائي ، وقال أبو حاتم وغيره : كذابٌ ، وقال علي بن ثابت : هو أكذبُ من حماري هذا !! وكذلك كذبه سيد النقاد يحيى بن معين ، وله نسخةٌ باطلةٌ عن أنس ، وقال ابن حبان في « المجروحين » (١١٤/١، ١١٥) : (دجالٌ من الدجاجلة ، وكان رقاصًا بالبصرة ، يُدعى إلى الأعراس فيرقص فيها ، فلما كبر جعل يروي عن أنسٍ ويضع عليه) ، ثم ساق له ابن حبان أباطيل .

● ● ويسأل القارئ : عبد اللّه جودة - محافظة مرسى مطروح :
عن درجة هذا الحديث : « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش ، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل اللّه ، وإنه ليس من عملٍ أحب إلى اللّه من جوع وعطش » ؟

● الجواب : **أن هذا الحديث باطلٌ لا أصل له .**

وقد قال الحافظ العراقي في « تخريج الاحياء » (٦٩/٣) : (لم أجد له أصلاً) ، وكذلك قال ابن السبكي في « طبقات الشافعية » (٦٢/٤) .

● ● ويسأل القارئ : محمد عبد الوهاب عبد الوهاب - فارسكور - محافظة دمياط :
عن درجة الحديث الذي رواه ابن عباس عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال : « رؤيا الأنبياء وحيٌ » ، وفي رواية : حق .

● والجواب : أن الحديث لا يصحُّ مرفوعًا إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم . أخرجه ابنُ أبي حاتم في « تفسيره » - كما في « ابن كثير » (٢٣/٧) - قال : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو

عبد الملك الكرندي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل بن يونس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مرفوعًا ، قال ابنُ كثير : (ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه) ، والكرندي ما عرفته ، وقد خولف إسرائيل ، خالفه سفيان الثوري ، فرواه عن سماكٍ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباسٍ قوله غير مرفوع ، أخرجه الطبرانيُّ في « الكبير » (ج١٢/ رقم ١٢٣٠٢) قال : حدثنا عبد اللّه بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، ثنا محمد بن يوسف الفريابي ، ثنا سفيان ، قال الهيثميُّ في « المجمع » (١٧٩/٧) : (عبد اللّه بن محمد بن أبي مريم ضعيفٌ) ، كذا ، والصواب أنه متروك ، وقد ضعفه الهيثمي جدًّا في موضع آخر من « المجمع » (١٧٣/٢) ، وهو اللائق ، لكني وقفت له على طريق آخر إلى الثوري ، أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٤٣١/٢) قال : أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزاهد الحيري ، ثنا محمد بن إسحاق الصنعاني - صنعاء اليمن - ثنا محمد بن جشعم الصنعاني ، ثنا سفيان الثوري بسنده سواء مثله ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين) ، ووافقه الذهبيُّ ! وليس كما قالا ، وسماك بن حرب لم يحتج به البخاري ، ثم رواية سماك عن عكرمة وقع فيها اضطرابٌ ، وشيخ الحاكم أبو إسحاق الحيري ترجمه السمعاني في « الأنساب » (٢٩٠/٤، ٢٩١) ، ونقل عن الحاكم كلامًا عاليًا في زهده وورعه ، ثم قال : (سمع بصنعاء اليمن من محمد بن إسحاق بن الصباح الصنعاني عن محمد بن جعشم جامع الثوري) ، ولم أعرف شيئًا عن حال محمد بن إسحاق وشيخه ، لكن الحاكم أخرج هذا الأثر في موضع آخر من « المستدرك » (٣٩٦/٤) قال : حدثنا أبو النضر الفقيه وأبو الحسن العنزي قالا : ثنا معاذ بن نجدة القرشي ، ثنا قبيصة بن عقبة ، ثنا سفيان عن سماك ، عن سعيد ، عن ابن عباسٍ مثله موقوفًا ، وقال : (صحيحٌ على شرط مسلم) ، وسكت عنه الذهبيُّ ! ومعاذ بن نجدة لم يخرج له مسلم ولا أحدٌ من الجماعة الباقين شيئًا ، ثم هو متكلم فيه كما قال الذهبي ، أضف إلى ذلك أن العلماء لينوا رواية الفريابي وقبيصة عن الثوري ، والوجه الأول المرفوع معلٌّ أيضًا ، فالحديث لا يصحُّ من هذا الوجه ، وقد أخرجه البخاريُّ (٢٣٨/١، ٢٣٩ و٣٤٤/٢) من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعتُ عبيد بن عمير يقول : « إن رؤيا الأنبياء وحيٌ » ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٠/٥) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن جرير ، والطبراني ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » ، أما الرواية الأخرى : « أن رؤيا النبي حق » ؛ فأخرجها أحمد (٢٣٣/٥) ، ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (ج٢٠/ رقم ٣١٠) ، والمحاملي في « الأمالي » (٧٩) من طريق وهب بن جرير قال : ثنا أبي ، قال : سمعت الأعمش يحدث عن عبد الملك بن ميسرة عن مصعب بن سعدٍ أنَّ معاذ بن جبلٍ قال : واللّه ! إنَّ عمر لفي الجنة ، وما أحبُّ أن لي حمر النعم وأنكم تفترقون قبل أن أخبركم لم قلتُ ذلك ، ثم ذكر رؤيا النبي صلى اللّه عليه وسلم التي رآها في عمر ، قال : ورؤيا النبي صلى اللّه عليه وسلم حقٌّ .

وأخرجه أحمد (٢٤٥/٥) ، والطبراني (٣٠٨، ٣٠٩) من طرق عن مسعر بن كدام ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن مصعب بن سعد ، عن معاذ بن جبل نحوه ، وفيه : « أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان ما رأى في يقظته أو نومه فإنه

حق » . قال الهيثمي في « المجمع » (٧٤/٩) : (رجاله رجال الصحيح) .

● قلت : وكلام الهيثمي لا يعني أن الإسناد صحيحٌ كما لا يخفى ، وعلَّةُ هذا الإسناد الانقطاع ، فإن مصعب بن سعد لم يدرك معاذًا ، فقد صرح أبو زرعة الرازي - كما في « المراسيل » (٢٠٦) أن مصعب بن سعد لم يسمع من علي بن أبي طالب ، فلئلا يسمع من معاذٍ أولى ، فإن معاذًا ، رضي اللَّه عنه ، توفي بالشام قديمًا سنة ثماني عشرة ، واللَّه أعلم .

ثم وقفتُ على كلام الحافظ في « الفتح » (٢٣٩/١) ، فقال : (وقوله : رؤيا الأنبياء وحيٌ ، رواه مسلمٌ مرفوعًا ، وسيأتي في (التوحيد) من رواية شريك ، عن أنس) .

● قُلْتُ : أمَّا عزوه هذا الحديث لمسلم ، فما أظنُّه إلاَّ وهمًا ، وقد اجتهدتُ في البحث عنه فلم أقف عليه ، فليحرر هذا العزو .

واللَّه أعلم .

أما ما قصده من حديث أنس ، فقد أخرجه البخاريُّ في (كتاب التوحيد) (٤٧٨/١٣) من طريق شريك بن عبد اللَّه بن أبي نمر ، عن أنس بن مالك قال : ليلة أسري برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفرٍ قبل أن يُوحى إليه وهو نائمٌ في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال أحدهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .. الحديث . ورواية أنسٍ ، رضي اللَّه عنه ، هي بمعنى الحديث المسئول عنه .

واللَّه أعلم .

* * *

● ويسأل القارئ : عبد القادر محمود السيد - مدينة المنصورة - محافظة الدقهلية :

هل ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى بداوي الجروح بوضع الحناء عليها ؟

● والجواب : **نعم** .

فقد أخرج الترمذي (٢٠٥٤) ، وابنُ ماجه (٣٥٠٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (ج٢٤/ رقم٦٥٧) ، والمزي في « التهذيب » (١٢١/١٩) من طريق زيد بن الحباب ، عن فائد مولى عبيد اللَّه بن علي بن أبي رافعٍ ، عن مولاه عبيد اللَّه ، عن جدته سلمى ، وكانت تخدم النبي صلى اللَّه عليه وسلم قالت : ما كان يكون برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قرحة ولا نكبةٌ إلاَّ أمرني أن أضع عليها الحناء ، وتابعه عبد الرحمن بن أبي الموال ثنا فائد مولى عبيد الله ، عن مولاه عبيد اللَّه عن جدته سلمى ، فذكره بنحوه .

أخرجه أبو داود (٣٨٥٨) ، والحاكمُ (٤٠/٤) ، والبيهقي (٣٣٩/٩) من طريق ابن وهب ويحيى بن حسان ، قالا : ثنا عبد الرحمن بن أبي الموال . وقد وقع في الحديث اضطراب في سنده ، وأسلم هذه الوجوه هو الوجه الذي بدأت به الكلام وسنده حسنٌ . واللَّه أعلم

* * *

الفتاوى الجيزوية

إعداد
لجنة الفتوى
بالمركز العام

رئيس اللجنة
محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة
صفوت الشوادفي
د. جمال المراكبي

صلاة أخيك في المسجد جماعة أولى من صلاته في البيت في جماعة

● وتسأل الأخت : صفاء إبراهيم محمد - القاهرة - المرج الغربية :

هل يجوز للرجل أن يصلي بأهل بيته جماعة في البيت ؟ وهل هذه الصلاة تُسقط عنه صلاة الجماعة في المسجد ؛ لأن أخي يصلي بنا في البيت ، وأمتنع من الصلاة معه وأصلي منفردة ، حيث إني أرى أن هذه الصلاة لا تجوز ويجب على أخي أن يصلي بالمسجد ، فهل أكون آثمة بذلك ؟ وهل صلاة الضحى والقراءة فيها جهرية أم سرية ؟ وهل يجوز لي أن أقرأ فيها وأنا انظر في المصحف .

● **والجواب** : صلاة أخيك في المسجد في جماعة أولى من صلاته في البيت في جماعة ، وصلاتك في جماعة البيت أولى من صلاتك وحدك ؛ لعموم تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ، ولا أملك أن أقول : إن صلاة أخيك بأهله في البيت في جماعة لا تصح ، ولكن أقول : إن صلاته في المسجد أولى .

وصلاة الضحى لا تجهرين فيها بالقراءة ، والأصل فيها ألا تصلى في جماعة ، فإذا صلاها أحد في جماعة مرة فلا بأس ؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم صلى في بيت عتبان بن مالك بأصحابه في جماعة ، وهذا يفيد جواز النافلة في جماعة دون مواظبة على الجماعة ؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم كان يصلي النافلة وحده دائمًا ، ويصليها في جماعة أحيانًا ، خاصة في صلاة الليل .

والصلاة النهارية لا يُجهر فيها بالقراءة باستثناء الجمعة والعيدين لاجتماع الناس فيها . واللّه أعلم .

* * *

في مسألة الأسماء والصفات يقتصر على ما ورد في الكتاب والسنة

● *يسأل بعض الإخوة عما ورد في مقال رئيس التحرير عدد شعبان سنة ١٤١٨ هـ ، ونص العبارة : (.. فإذا قيل : هل الله جسم ؟ نقول : هذا مسكوت عنه فلا نثبته ، ولا ننفيه ، بل نسكت عنه طاعة لله) ، هل هذه العبارة موافقة لعقيدة أهل السنة ؟ أو وردت على لسان السلف ؟*

● **والجواب** : ننقل للقراء ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة ، وكذلك ما ورد في فتاوى اللجنة الدائمة ، وما قاله فضيلة الشيخ ابن عثيمين في « القواعد المثلى » .

قال شيخ الإسلام في « مجموع الفتاوى » (المجلد الخامس ، الأسماء والصفات ص ٤٣٤ ، طبعة عالم الكتب بالرياض) ، قال بعد ما ذكر كلامًا طويلاً في المسألة ، قال ما نصه : (وهذا الكلام في لفظ الجسم من حيث « اللغة » ، وأما « الشرع » ، فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم ، أو أن الله ليس بجسم ، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع) . (انتهى) .

وأما ما فهمه بعض الإخوة القراء الأفاضل من قول الأشعري في نفس المصدر المذكور من « مجموع الفتاوى » (ص ٩٢) ما نصه : (وقال الأشعري أيضًا في « اختلاف أهل القبلة في العرش » ، قال أهل السنة وأصحاب الحديث : إن الله ليس بجسم ، ولا يشبه الأشياء ، وأنه استوى على العرش ، كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ، ولا نتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول : استوى بلا كيف ، وأن له وجهًا كما قال : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٢٧]) إلخ .

قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد الذي جمع الفتاوى قال في الفهرس (ص٥٨٨) ما نصه : (حكى الأشعري عن أهل السنة بحسب ما فهمه أن الله ليس بجسم) .

هذا فهم الأشعري ، وليس كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله .

وفي فتاوى اللجنة الدائمة (ص ١٦٨ مجلد (٢) فتوى رقم ٦٩١١) في الإجابة على السؤال ما نصه :

ونظرًا إلى أن الجسم لم يرد في النصوص نفيه ولا إثباته ، فلا يجوز للمسلم نفيه ولا إثباته ؛ لأن الصفات توقيفية . (انتهى) .

وقال ابن عثيمين في « القواعد المثلى » ما نصه : وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه ، فلا يثبت ولا ينفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه . (انتهى) .

هذا ما أردنا توضيحه لقرائنا الأفاضل إزالة للبس .

وجزاهم الله خيرًا على حرصهم على المجلة وعلى سلامة العقيدة .

والمجلة ترحب بأي استفسار وبأي توضيح .

● يسأل : م . ف - المنصورة :

هل يقبل الله تعالى توبة الزاني أم أنه لا بد من إقامة الحد عليه ، فهو مسلم حائر يريد أن يُقام الحد عليه لكي تطمئن سريرته ويهدأ باله ؟

● **الجواب** نعم يجوز له التوبة بدون إقامة الحد .

البركة تعني ثبوت الخير ودوامه وزيادته

● ويسأل : محمد جميل - مكة المكرمة :

عن قول الرجل لبعض أضيافه : (زارتنا البركة) ، هل يجوز ؟ وما الدليل على ذلك ؟

● **والجواب** : أنه يجوز فيمن يلتمس فيه الصلاح والعلم ، من ذلك ما جاء في البخاري في كتاب التيمم

وفضائل الصحابة من قول أسيد بن حضير ، رضي اللّه عنه : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، يقول ابن حجر : والمراد أبي بكر نفسه وأهله وأتباعه ، وفيه دليل على فضائل عائشة وأبيها وتكرار البركة منها ، وفي رواية عمرو بن الحارث : لقد بارك اللّه للناس فيكم ، وبيان قول أسيد أيضًا : فواللّه ما نزل بك من أمر تكرهينه إلا جعل اللّه لك منه مخرجًا وجعل للمسلمين فيه بركة .

وما جاء في « سنن أبي داود » من حديث عائشة ، رضي اللّه عنها ، بسند جيد قالت : فتسامع الناس أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قد تزوج جويرية ، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم ، وقالوا : أصهار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، أعتق بسببها مائة من أهل بيت بني المصطلق .

هذا وإن مجالس الصالحين وزيارتهم ودخولهم إلى البيوت يأتي اللّه بالبركات منها في الانتفاع بعلمهم ودعائهم وتذكر المواعظ ، إما من سمتهم أو من قولهم ومجالسة الصالحين لا تخلو من هذه البركات أو بعضها ، فيقول ابن القيم : (من بركة الرجل أن يكون معلمًا للخير ، داعيًا إلى اللّه ، مذكرًا به ، مرغبًا في طاعته ، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة) .

والبركة : تعني ثبوت الخير ودوامه وزيادته ، فمنها بركات دنيوية ، كريح طيب تشمه ، أو هدية نافعة ، أو خلق سمح ، أو غير ذلك من أمور المعايش والأرزاق ، ومنها بركات أخروية أو دنيوية وأخروية معًا ، كالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، أو التذكير باللّه وشرعه ، وكذلك الدعاء أو التسلية عن المصاب وتفقده وتخفيف الألم عن صاحبه ، ولكن عليك أن تحذر التبرك الممنوع أو أن تخلطه بالتبرك المشروع .

* * *

لا يجوز شرعًا أن تخص ابنك الكبير دون إخوته

● ويسأل : محمد عبد العظيم - غزل كفر الدوار :

أنا رجل أبلغ من العمر أكثر من ستين عامًا ، ولي أربعة أبناء ذكور ، وثلاثة بنات ، فهل يجوز لي شرعًا أن أخص ابني الأكبر بنصف ما أمتلك وذلك تقديرًا له على تعبه ووقوفه بجانبي ، علمًا بأنه حرم من التعليم وليس له وظيفة ولا عمل سوى الفلاحة ، وهو متزوج وله أربعة أبناء في مراحل التعليم المختلفة ، وأريد أن ألقى اللّه وأنا مستريح الضمير ؟

● **الجواب** : لا يجوز لك شرعًا أن تخص ابنك الأكبر بشيء من مالك دون سائر إخوته ، لا على سبيل الهبة ؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم أمر بالتسوية بين الأبناء في الهبات ، ولا على سبيل الوصية ؛ لأنه لا وصية لوارث .

ولكن إذا كان ولدك الأكبر قد ساهم في تنمية مالك والإنفاق على تعليم وزواج إخوته كما ذكرت في سؤالك ، فيجوز لك شرعًا أن توصي ببعض مالك لأبناء ابنك الأكبر ، وذلك في حدود ثلث التركة ؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال لسعد في قدر الوصية : « الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » . متفق عليه .

وقد أوصى الزبير بن العوام ، رضي اللّه عنه ، ولده عبد اللّه بن الزبير بالقيام على سداد دينه ، وأوصى بثلث ماله ، وأوصى بثلث الثلث - الوصية - لأبناء عبد اللّه ، وكان بعض أبناء عبد اللّه بن الزبير يناهز بعض أبناء الزبير ، رضي اللّه عنهما .

فلك في فعل الزبير بن العوام ، رضي اللّه عنه ، أسوة لتعوض ولدك الأكبر عن جهده وبذله ، وذلك بالوصية لأبنائه ، دون أن تخالف حكم الشرع في عدم التسوية بين الأبناء في الهبة أو في الوصية للوارث .

واللّه الموفق .

لا يجوز أن يتزوج الرجل من زوجة أبيه حتى لو كان الأب لم يدخل بها

● ويسأل : حسين الدقيري - التحرير الجنوبي - السخنة :

لي صديق والده كان قد تزوج من فتاة في العشرين من عمرها ، وهو في سن الستين ، عقد على هذه الفتاة وتوفي بعدها بيومين ، وهذا الابن أراد أن يقسم تركة أبيه ، فرفضت الفتاة أن تأخذ ميراثها بصفتها زوجة لهذا الرجل وتم التنازل عن جميع مستحقاتها ، وبعض الناس قالوا له : تزوجها ، ومنهم مشايخ صوفيون ، واستدلوا واستندوا على أنه - أي والده - لم يدخل بها ، أي أن النكاح لم يحدث ، فإنها في هذه الحالة تحل له ، فما هو الحل هل يتزوج من زوجة أبيه أم يتركها لأنها لا تحق له ؟

● الجواب : لا يجوز بحال من الأحوال أن يتزوج الرجل من زوجة أبيه حتى ولو كان الأب لم يدخل بها .

والدليل قول اللّه تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاّ ما قد سلف إنه كان فاحشةً ومقتًا وساء سبيلاً ﴾ [النساء : ٢٢] ، فنهى المولى سبحانه عن الزواج من زوجة الأب أو زوجة الجد سواء طلقها ، أم مات عنها ، دخل بها أم لم يدخل بها ؛ لأن النكاح هنا يطلق على مجرد عقد الزواج ، ثم أخبر أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك ، فعفا اللّه لهم عما سلف منهم قبل الإسلام ، وهؤلاء الذين أفتوا بحِل هذا الزواج ليسوا من أهل العلم ، فنقول لهم : اتقوا اللّه تعالى ، وعليكم بقول اللّه تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل : ٤٣] ، ولا تقولوا على اللّه ما لا تعلمون .

وهذه المرأة لها الثمن في تركة زوجها ؛ لقوله تعالى : ﴿ ولهنّ الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولدٌ فإن كان لكم ولدٌ فلهنّ الثمن مما تركتم ﴾ [النساء : ١٢] .

وتنازلها عن نصيبها لا يعني أنها لا تعتد بزواجها من هذا الرجل ، ونقول لهذا الولد : اتق اللّه ، ولا تسمح للشيطان أن يزين لك أنك تحبها ، ويزين لك جمالها ، فهي من محارمك بسبب المصاهرة ، ولا يحل لك الزواج منها بحال ، وتأمل قول اللّه تعالى : ﴿ إنه كان فاحشةً ومقتًا وساء سبيلاً ﴾ [النساء : ٢٢] .

واللّه الهادي لسبيل الرشاد .

● ويسأل : عبد الواحد أحمد - محافظة الجيزة - عن صحة هذا الحديث :

« من تهاون في الصلاة عاقبه اللّه بخمسة عشر عقوبة ، ستة منها في الدنيا ، وثلاثة عند الموت ، وثلاثة في القبر ، وثلاثة عند خروجه من القبر .. » ؟

● الجواب : هذا الحديث ليس له أصل ، ووعيد ترك الصلاة معلوم من الدين بالضرورة .

ردود سريعة

عليك أن تأخذ بالأسباب المشروعة

السائلة : ن . أ . س . م - محافظة البحيرة :

قرأت خطابك جيدًا ، واعلمي أن قدر اللّه واقع ولا بد ، ولكن علينا الأخذ بالأسباب المشروعة ، ثم نسأل اللّه أن يرزقنا الإخلاص ، وأن يجزل لنا المثوبة ، ثم إن الزواج للفتاة خير عمل تقوم به ، واختيار الزوج صاحب الدين يورث سعادة الدنيا والآخرة ، فدعي المخاوف والهواجس ، وتوكلي على اللّه الحي القيوم ، وسليه الخير العاجل والآجل ، واعلمي أن العبد إن وقع في ذنب فاللّه غفور لمن تاب ورجع إليه ، وخطابك يدل على أنك من أهل الخير ظاهرًا أو باطنًا ، لكن ما تشعرين به بعد ذلك إنما هو من وساوس الشيطان وعمله . واللّه أعلم .

● الأخت السائلة : ع . غ . س : دمياط :

هذا العقد لا يصح ، لعدم وجود الولي والشهود ، والنبي صلى اللّه عليه وسلم يقول : « لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل » ، وواضح من السؤال أن أولياءك لا يعلمون شيئًا عن تصرفك هذا ، فاتقي اللّه في دينك وفي نفسك وأهلك .

بقلم أ / محمود المراكبي

عقائد الصوفية

في ضوء الكتاب والسنة

الصوفية المعاصرة ووحدة الوجود

الحلقة الحادية عشر

الحمد لله حمد الشاكرين ، ونستغفره استغفار المذنب الواثق من عفو الغفور الرحيم ، والصلاة والسلام على الرءوف الرحيم ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فنستكمل بحول الله وطوله ما بدأناه في المقالة السابقة من عرض نصوص الطرق الصوفية المعاصرة ؛ لبيان مزالق الشيطان فيها ، وتلبيس إبليس لأتباعها ومشايخها ، حتى أصبح الغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطراؤه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم هو دين الصوفية وعقيدتهم التي يتلقونها عن مشايخهم جيلاً بعد جيل ، وما يدعو للشفقة بعامة المريدين أنهم لا يعرفون ما هم عليه ، ويحسبون أنهم مهتدون ، بل وأتباع الأولياء والأقطاب والأبدال ، وأنهم العارفون بالله الوارثون للعلم الباطني ، ونبدأ اليوم بالطريقة الثامنة من طرق القوم ؛ ألا وهي :

● **الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية :**

وضع شيخ الطريقة محمد عثمان البرهاني كتابه « تبرئة الذمة في نصح الأمة » ، حرص فيه على جمع مخلفات الأخبار الفاسدة ، وجملة من الأحاديث الموضوعة ، وحزمة من عقائد الشيعة والباطنية وغلاة الصوفية ، وانتصر في كتابه إلى ساداته ابن عربي والجيلي وغيرهما ، فجاء الكتاب في جملته مزيجًا من الهذيان والتخريف .

وإذا أردنا أن نتتبع النصوص من كتابه لنقلنا أغلب الكتاب ، لذا نكتفي فقط بمثال واحد يفسر فيه الرجل قول الله تعالى : ﴿ والفجر ۞ وليالٍ عشرٍ ﴾ [الفجر : ١، ٢] ، فيقول : إن كبار المفسرين أهل البصائر يرون أن الفجر هو حالة قبضة نور النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الليالي العشر التي تنقل فيها نور النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي حجب الجلال ، ثم يستطرد قائلاً : وعلى هذا المنوال فقد قال صلى الله عليه وسلم : أنا من نور الله ، والمؤمنون من رشحات نوري .

● **تاسعًا : الطريقة الجعفرية الإدريسية .**

وشيخ الطريقة هو الشيخ صالح الجعفري - الذي كان مجاورًا في الجامع الأزهر - وجاء في صفحة (١٤) من أوراد الطريقة المسمى « كنز السعادة والإرشاد » للمعالي من إملاء محمد بن عبد العالي وجمع أحمد بن إدريس قال : اللهم صلِّ على الذات الكنه ، قبلة وجوه تجليات الكنه ، عين الكنه في الكنه ، الجامع

لحقائق كمال كنه الكنه ، القائم بالكنه في الكنه للكنه ، صلاة لا غاية لكنهها دون الكنه ، وعلى آله وسلم ، كما ينبغي من الكنه للكنه ، اللهم إني أسألك بنور الأنوار الذي هو عينك لا غيرك ، أن تريني وجه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما هو عندك آمين .

ويحاول الشيخ صالح الجعفري أن يستثني عبارة شيخه (نور الأنوار) التي يكررها في مواضع كثيرة من ورده ، ويريد بها النبي صلى الله عليه وسلم لا أن الشيخ صالح يخصص المراد من هذا الموضع فقط بأنه الله وليس النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : (نور الأنوار هو الله تعالى ، أي خالق الأنوار كلها ، وليس النبي صلى الله عليه وسلم كما يدعيه بعض الجهلة معترضًا على الأستاذ ، وفي غير هذا المكان يطلق عليه صلى الله عليه وسلم نور الأنوار) .

ويقول في صفحة (٢٠) : اللهم صلِّ على مولانا محمد نورك اللامع ، ومظهر سرك الهامع ، الذي طرزت بجماله الأكوان ، وزينت ببهجة جلاله الأوان ، الذي فتحت ظهور العالم من نور حقيقته ، وختمت كماله بأسرار نبوته ، فظهرت صور الحسن من فيضه في أحسن تقويم ، ولولا هو ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم .

● **عاشرًا : الطريقة الإدريسية :**

لم أر في أي ورد من أوراد الطرق الصوفية نصوصًا بهذا الكم وبهذه الجرأة والوضوح ، وطافحة بعقيدة وحدة الوجود ، فلا تكاد تخلو صفحة من كتاب أحزاب وأوراد قطب دائرة التقديس لأحمد بن إدريس الحسني إلا وهي تطفح بهذه المعتقدات ، نختار منها (ص ٤٤) : اللهم .. وأن تنعمني يا ذا الجلال والإكرام في شهود تجليات ذاتك بالعين التي لا يحجب عنها شيء في الأرض ولا في السماوات ، وأفض على جميع ذاتي لذة ذلك الشهود حتى أكون كلي لذة ذاتية إلهية سارية في نفسي من نفسي لنفسي كما نعمت سيدنا ونبينا ومولانا محمدًا صلى الله عليه وسلم في ذلك وحققني يا إلهي بإنسانيتي حتى أكون إنسان العين الكلية الإلهية التي لا يحصرها شيء ، ولا يقدر قدرها سواك كما حققت نبيك سيدنا ومولانا محمدًا صلى الله عليه وسلم .

ويقول كذلك في (ص ٤٧) : مظهر تجليات الحقائق الأبدية عبدك الذاتي ترجمان حضرة ديوان الكبرياء الإلهي

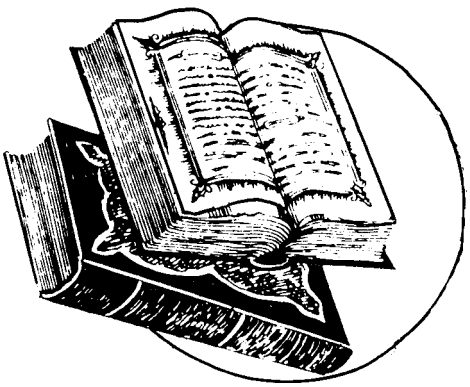

الأقدس نبيك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مجلى ذاتك العظمة الإلهية الأنزه ، ووفني يا إلهي بذلك وفاء كاملاً كما وفيته بذلك حتى تندمج كليتي بجمع أجزائها في بحر حقيقة حق الصدق ، حتى تكون ذاتي كلها صدقًا خالصًا إلهيًا صرفًا من جميع الوجوه ، ثم يشرح مشهد الكبرياء بقوله : مشهد الكبرياء في الحقيقة الإلهية المحمدية هو الروح الأعظم المنفوخ في آدم صلوات الله عليه ، وهو كوثر التجليات الإلهية والملكية وهو المفيض في كل شيء وإلى كل شيء من عين الأولية .

وفي (ص ٦٠) : وتجل لي يا إلهي بأسرار الكتاب المكنون الإلهي كتاب الحقائق الإلهية الذاتي ، وانشر يا إلهي في نفسي ذلك الكتاب حتى أجمع قرآن حقائق التجليات الإلهية كشفًا ووجودًا ، إحصاء وشهودًا ، من كل جهاتي ، وأكون منعوتًا بجميع الكمال الإلهي المحمدي في جميع أحوالي وتطوراتي ، فتزول غشاوة غش الأغيار عن بصري وبصيرتي ، بل وعن ذاتي كلها ، حتى تكون ذاتي كلها عينًا ذاتية إلهية من جميع الوجوه ، وأكون كلي وجهًا واحدًا إلهيًا ، لا أعلم من جميع جهاتي ولا أشهد ولا أرى في إياي ، وفي كل شيء وفي لا شيء إلا إياك .

والرجل بهذا النص يطلب أن يصير هو أيضًا إلهًا . ثم يقول في (صفحة ٧٢) : وأسألك بمعناك الذي لا يعلمه سواك ، الذي اقتضته الذات بالذات في الذات من الذات للذات ، كما أنت حيث أنت لذاتك ، كما تعلم ذاتك ، حتى تاه الكل في الكل ، وتحير الكل في الكل ، ويصرح في (ص ٨٣) بالنور الإلهي للرسول بقوله : كما بدأنا أول خلق نورًا إلهيًا نعيده ، وفي (ص ٨٨) يقول أيضًا : ينبوع عين مادة الوجود الإلهي الأزلي نبيك سيدنا

ومولانا محمدًا صلى اللّه عليه وسلم نقطة وجه جمال حُسْنِ الحق المشهود الإلهي الأبدي .

وننقل بعض النصوص من (ص ١٥٠ حتى ١٠٨) يقول فيها : اللهم صل على أم الكتاب كمالات كنه الذات عين الوجود المطلق ، الجامع لسائر التقييدات ، صورة ناسوت الخلق ، معاني لاهوت الحق ، الغيب الذات والشهادة الأسماء والصفات ، الناظر بالكل في الكل من الكل للكليات والجزئيات ، مبدأ الكل ، ومرجع الكل ، وهو الكل في الكل بلا بعض ولا كل ، صلى اللّه عليك يا محمد بكمال أحدية ذاته وصفاته على كمال جمعية أحدية ذاتك وصفاتك ، روح ذات الوجود ، مجمع حقائق اللاهوت ، اللهم صل على عين بحر الحقائق الوجودية المطلقة اللاهوتية ، ومنبع الرقائق اللطيفة المقيدة الناسوتية ، صورة الجمال ، ومطلع الجلال ، مجلى الألوهية ، وسر إطلاق الأحدية ، عرش استواء الذات ، المسمى كثرة صورها بالخلق ، جانب طور الحقائق الروحية الأيمن المكلم منه موسى النفس ، بأنا اللّه لا إله إلا أنا في حضرة القدس ، يا كامل الذات ، يا جميل الصفات ، يا منتهى الغايات ، يا نور الحق ، يا سراج العوالم ، يا محمد ، يا أبا القاسم ، يا مجلى الكمالات الإلهية الأعظم .

اللهم صل على مولانا محمد سراج أفق الألوهية ، ومعدن كنوز الأسرار الربانية ، سر استواء الرحمانية ، منظر وجوه الخلق ، مصدر الهو في الهو للهو من الهو ، مَن نبعت فيه ومنه أسرار : ﴿ اللّه لا إله إلا هو ﴾ ، ويصل الشطح بالرجل إلى منتهاه في (ص ١٣٦) ، فيصف النبي صلى اللّه عليه وسلم بقوله : اللهم صل على الذات الحقية القدسية والمعاني الكمالية الجلالية الجمالية ، قرآن حقائق الذات وفرقان تجليات الصفات ، عين الحياة الأزلية ، معنى التفصيلات الأبدية ، روح المعاني الإلهية ، وسر صور المباني الخلقية ، دهر الدهور ، وكتاب الحق المنشور ومعنى المكالمة الإلهية الطورية في حضرة الوادي القدسية الموساوية ، نور سبحات الوجه في جبل قاف تجليات الكنه ، صورة الحق ، ومعنى سر حروف الخلق ، مجمع بحور الحقائق ، لسان ترجمان الدقائق ، حقيقة الحقائق الكليات والجزئيات ، عرش رحمانية الذات .

والرجل لا يمل من الدوران حول عقيدته التي لا علاقة لها بالإسلام وتوحيده البسيط السهل الواضح ، وإنما يكرر أفكاره وأفكارَ أصحاب الوحدة ، والمراد من تكرار هذه الألغاز هو تمرير الشركيات على القلوب ولفها بالتيه والحيرة ، حتى تخرج عن التوحيد بالكلية .

● **حادي عشر الطريقة الختمية الميرغنية :**

يردد أبناء الطريقة الميرغنية أوراد الطريقة التي جاء فيها : اللهم صل على سلطان المملكة وإمام الحضرة المقدسة المفيض على الملأ الأعلى من وراء حجبك الجلا من قامت به عوالم الملك والملكوت ، المطمطم بالأنوار العلية والكنز الذي لا يعرفه على الحقيقة إلا مالك البرية ، ترجمان الرحمن لعباده بالإحسان في حضرة الامتنان بلسان اللطف والحنان ، بقوله : لو لم تذنبوا وتستغفروا لأتى اللّه بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم ، أو كما قال المكمل لعباد اللّه بالنفحات الفردية والمؤيد لهم بالظهورات الأُنسية والعرش كما يليق بها ظهر الرب من أجله من العماء ذروة الدواوين الإلهية ، ترجمان الحضرات الصمدانية ، روح المعارف العلمية ومادة الحقائق النورانية المتجلي في سماء الربوبية ، فهو الباطن الذي منه يُرى اللّه ، وهو الظاهر الذي به تجلى اللّه ، اللهم بالساجد عند العرش ، ومن هو سر العرش أدخلنا فوق الفرش ، واحملنا إلى الديوان الأعلى مع الديوان الأجلى على باطن منبع سر : ((إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين)) .

● **ثاني عشر : طريقة أبي العزايم :**

ينشر مختار أبو العزيم كتابًا سطر فيه المأثور عن الإمام ماضي أبو العزائم الذي تواضع وسمى ورده ((نيل الخيرات)) ، وقسمه إلى مجموعة من الفتوحات ، وطبعًا يفهم المريدون أنها فتوحات ربانية ، وأسرار علوية ، ويقول في الفتح الأول من الصلوات : اللهم أوصل صلة الصلاة على قبضة أنوارك الذاتية ، ومجلى أسرارك الكنزية ، وسر تجلي العوالم الصفاتية ، ومصدر حقائق المظاهر الأسمائية ، الجامع بين أولية الحقية في مقام الأحدية بين الآخرية في مقام الواحدية ، وبينهما في مقام الوحدانية ، اللهم أسبغ هاطل صلواتك على عين الحق الكامل في مظهر الخلق ، اللهم صل وسلم على برزخ الهوية ورمز الألوهية الظاهر به عنه في مقام كان اللّه

ولا شيء معه ، والباطن في مقام تجلي الحقائق الأسمائية في مقام وهو على ما عليه كان .

ويشهد النص الوارد في الفتح الثالث من الصلوات على العلاقة الوثيقة بين الصوفية وبين الفلسفة الأفلاطونية والأفكار الباطنية اليهودية حين يقول : اللهم صل وسلم على العقل الأول الذي أضاء بنور أوليته عوالم الأرواح النورانية ، واللون الذاتي الذي تزينت بمحاسن صفاته جميع الآثار الكونية ، والمظهر الحقي الذي أفاض على العوالم كلها أسرار التجليات الرحمانية ، المتحقق في المظهرين الحقي والخلقي في الآخرية ، اللهم صل وسلم على مصدر التجليات الواحدية ومفيض غيث التفضلات الجمالية .

● **ثالث عشر : الطريقة الاحمدية :**

شيخ الطريقة هو قطب الصوفية الأكبر أحمد البدوي ، يرفعه أحبابه إلى أعلى المقامات أقلها أنه مركز الدائرة الروحية لمصر ، بينما يتهمه الباحثون بأنه كان داعيًا شيعيًا باطنيًا ، وجاسوسًا للدولة الفاطمية تحت ستار التصوف[1] ، وأوراد الرجل مقسمة إلى عدد من الأحزاب والصلوات منها ؛ الحزب الكبير والصلاة الكبيرة والصلاة الصغيرة ، ومنها ننقل ما يأتي :

اللهم صل على نور الأنوار وسر الأسرار وترياق الأغيار سيدنا محمد المختار وآله الأطهار وأصحابه الأخيار عدد نعم الله وأفضاله .

ولا يخفى أن عبارة : نور الأنوار يندرج تحتها كل الأنوار ، وهذا هو مقصود ابن عربي في وحدة الوجود ، ثم يكرر البدوي عبارات شجرة الأصل ، القبضة الأصلية الرحمانية وغيرها .

اللهم صلى على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية ، ولمعة القبضة الرحمانية ، وأفضل الخليقة الإنسانية ، وأشرف الصورة الجسمانية ، ومعدن الأسرار الربانية ، وخزائن العلوم الاصطفائية ، صاحب القبضة الأصلية ، والبهجة السنية ، والرتبة العلية ، من اندرج النبيون تحت لوائه ، فهم منه وإليه .

ونلمح ضمن أوراد الطريق الحزب الكبير الثاني وهو مشهور لتفريج الكروب نبرة شيعية واضحة ، حيث ورد في النص التالي : اللّه حسبي ، ومحمد وعلي رُكني ، والله متولي أمري .

ولأحمد البدوي قصيدة تطفح بوحدة الوجود تعرف باسم تائية أحمد البدوي ، يقول فيها :

فقرأت في توراة موسى تسعة
تليت على موسى لها لم يثبت
وقرأت من إنجيل عيسى عشرة
تليت على عيسى فزادت رفعتي
وقرأت من نهج الغرام مسائلاً
وأتيت فيها من شواهد فطنتي
أنا صاحب الناقوس سلطان الهوى
أنا فارس الأنجاد حامي مكة
أنا أحمد البدوي غوث لا خفا
أنا كل شبان البلاد رعيتي

● **رابع عشر : صلوات احمد الدردير :**

يستطيع القارئ بسهولة أن يحصي النصوص الدالة على وحدة الوجود في أوراد أحمد الدردير ، منها ما جاء تلميحًا ، ومنها ما صرح به الشيخ أو أتباعه ونسبوه إليه ، ومن ذلك ؛ وصلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وأغرقنا في عين بحر الوحدة السارية في جميع الموجودات ، وفي حرف الباء يقول الشيخ : واكشف لهم عن حظائر اللاهوت إلهي بالنور المحمدي الذي رفعت على كل رفيع مقامه ، وضربت فوق خزانة أسرار ألوهيتك أعلامه .

وينتشر بين أتباع الطرق أن ضريح الشيخ أحمد الدردير سره كبير ، ومن الطريف أن نذكر كيف كان أحد المشايخ المثقفين والحاصلين على درجة الماجستير في الكيمياء يعلم أبناءه في الطريق أحد أساليب قضاء الحاجات ، وتتلخص هذه الطريقة أن يزور المريد قبر الشيخ في حي الأزهر ، ثم يعرض على الشيخ الدردير حاجته ، ويختم طلبه قائلاً : اركب الحمارة واقض العبارة !!

ولا نعرف لم الإصرار على الحمارة في زمن اتسعت فيه الاتصالات ووسائل الانتقال ، ثم هل هي حمارة من عالم الروح ، أم هي حمارة حصاوي من حمير هذا الزمان ؟ ولا شك أن من سيركب الحمارة سيطول انتظار الناس لمساعيه !!

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى ، فإلى اللقاء .

يوسف عليه السلام

في بيت عزيز مصر

الحلقة الرابعة

﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه .. ﴾

بقلم الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله العزيز الحميد ، الفعال لما يُريد ، ذي العرش المجيد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، أما بعد :

فقد وقفنا في اللقاء السابق عند دخول يوسف ، عليه السلام ، إلى بيت عزيز مصر ، ورأينا العزيز وهو يوصي به خيرًا ، وعلمنا كيف كان ذلك بداية التمكين ليوسف ، عليه السلام ، في الأرض كما قال تعالى : ﴿ وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض ﴾ [يوسف : ٢١] ، ولا يستبعدن أحد ذلك ، ومن هنا عقب المولى سبحانه بقوله : ﴿ واللّه غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف : ٢١] .

واليوم نقف مع قوله تعالى : ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين ۞ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هَيْتَ لك قال معاذ اللّه إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يُفلح الظالمون ﴾ [يوسف : ٢٢، ٢٣] ، ووقفتنا اليوم تحتاج إلى وقفات :

✸ **الأولى :** مع قوله تعالى : ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ اختلف المفسرون في تفسير (الأشد) ، فمنهم من جعله بلوغ الأربعين ، وعلى هذا التفسير تكون الآية عامة وليس لها صلة بما بعدها في السياق ، ومنهم من فسر (الأشد) هنا بالبلوغ أي سن الثامنة عشر أو العشرين ، وعلى هذا تكون الآية : ﴿ ولما بلغ أشده ... ﴾ الآية [يوسف : ٢٢] متصلة مع الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : ﴿ وراودته .. ﴾ ؛ أي لما بلغ أشدَّه راودته ، وفي هذا المعنى جاء في « لسان العرب » ؛ باب (شدد) قال الأزهري : (الأشد في كتاب اللّه له ثلاثة معان : فأمّا قوله تعالى في قصة يوسف ، عليه السلام : ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ فمعناه

الإدراك والبلوغ ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ﴾ [الإسراء : ٣٤] ، والمقصود أن يؤنس منه الرشد ببلوغه ، وأما قوله تعالى في قصة موسى ، عليه السلام : ﴿ ولما بلغ أشدَّه واستوى ﴾ [القصص : ١٤] ، فإنه قرن بلوغ الأشد بالاستواء ، وهو أن تجتمع قوته ويكتهل وينتهي شبابه ، أما قوله سبحانه في سورة « الأحقاف » : ﴿ حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، فهو أقصى نهاية البلوغ ، وهو الذي بُعث عنده نبينا محمد صلى اللَّه عليه وسلم) . انتهى .

والذي يناسب السياق - واللَّه أعلم - أن المقصود بالأشد هو البلوغ ، ولذا جاء بعده مباشرة : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ أي بعد أن بلغ وظهرت عليه علامات الرجولة وأمارات الفحولة راودته ، وأيمًا كان الأمر فقد راودته .

✹ **ثانيا** : مع قوله تعالى : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه .. ﴾ :

١- في كلمة : ﴿ راودته ﴾ إشارة إلى كثرة المحاولات من المرأة ، وأنها جعلت تعترض يوسف ، عليه السلام ، بألوان من أنوثتها لون بعد لون ، ذاهبة إلى فن راجعة من فن ، والكلمة مأخوذة من رودان الإبل في مشيتها ؛ تذهب وتجيء في رفق .

وهذا يصور حيرة المرأة واضطرابها في حبها ؛ ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها ، وهذا الذي عبر عنه النسوة تمامًا وهن أعلم بحالها كما حكى عنهن ربنا عز وجل : ﴿ وقال نسوةٌ في المدينة امرأة العزيز تُراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبًّا ﴾ [يوسف : ٣٠] ، هذا هو حال المرأة ، ولكنها مع ذلك أرادت أن تحتفظ بشيء من كبرياء الأنثى ، وإن كانت الطبيعة من وراء ذلك مندفعة ماضية مصممة .

٢- في قوله تعالى : ﴿ التي ﴾ لم يبق معها لملك المرأة شيء فإن كلمة : ﴿ التي ﴾ تدل على كل امرأة كائنة من كانت فلم يبق مع مراودتها ليوسف ، عليه السلام ، ملك ولا سلطان ، وزالت جميع الألقاب مع الأنثى المراودة لفتاها .

٣- في قوله تعالى : ﴿ عن نفسه .. ﴾ إشارة إلى طمعها في ذاته البشرية وشغفها بما في هذه الذات من جمال ورجولة .

وكأن الآية مصرحةٌ في أدب سام كلَّ السمو منزه غاية التنزيه بما معناه : أن المرأة كل ما تستطيع في إغرائه مقبلة عليه ومدبرة عارضة أنوثتها عرض امرأة خلعت - أول ما خلعت - أمام عينيه ثوب الملك .

✹ **ثالثا** : ﴿ وغلقت الأبواب وقالت هيت لك .. ﴾ :

١- في قوله : ﴿ وغلَّقت الأبواب .. ﴾ إشارة إلى مبالغتها في الإغلاق وتأكيدها عليها ، وأنها تجري من باب إلى باب وتضطرب يدها في الإغلاق ، كأنما تحاول سدَّ الأبواب لا إغلاقها فقط ؛ وهي التي تقوم بنفسها بهذا العمل وقد صرفت الخدم .

وهذه مرحلة تالية لمرحلة المراودة ، وقد بذلت المرأة ما تستطيعه مع يوسف ، عليه السلام ، ولما رأت منه عدم المبالاة وعدم الاهتمام والانتباه لم يعد أمامها غير التصريح بالفعل فغلَّقت الأبواب في

إحكام شديد ، ثم انتقلت إلى التصريح بالقول المباشر الصريح ، فقالت : ﴿ هيت لك ﴾ أي تهيأت لك ، لك أنت يا يوسف ، وليس لأحد سواك ، هذه ثلاثة أطوار ، وفيها طبيعة الأنوثة نازلة من أعلاها إلى أسفلها ، فقد راودته ثم غلَّقت الأبواب ودعته لنفسها بعبارة صريحة واضحة .

❁ **رابعًا** : ﴿ قال معاذ اللَّه إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ :

هذه المرأة وقد شُغفت بيوسف حبًا وأنزلها ذلك الحب إلى أدنى درجات التذلل ، فتنازلت أول ما تنازلت عن تاج ملكها ، وعن منزلتها كسيدة للقصر وراودت مملوكها ، ثم خلعت بعد ذلك رداء كبريائها وتوجهت إلى يوسف في خطاب صريح : (قد تهيأت لك) ، والشأن في المرأة أن تكون مطلوبة لا طالبة ، فما بالك وإن كانت هي امرأة العزيز وسيدة القصر ، بل من سيدات الدولة المعدودات ، إن لم تكن السيدة الأولى ، وقد وقفت أمام مملوكها قائلة له : قد تهيأت لك بعد إغلاقها الأبواب وإحكامها ، وتدعوه إلى نفسها ، فإذا انتهت المرأة إلى نهايتها ، ولم يبق وراء ذلك شيء تبذله ظهرت من ثَمَّ عظمة الرجولة السامية المتمكنة والمتمثلة في يوسف في أسمى معانيها ، فقال يوسف بكل إيمان وثقة : ﴿ معاذ اللَّه ﴾ أي أعوذ باللَّه عياذًا باللَّه مما تدعونني إليه ، أستعيذ باللَّه فهو الذي يُعيذني مما تدعونني إليه : ﴿ إنه ربي أحسن مثواي ﴾ .

وعلى تقدير عودة الضمير في : ﴿ إنه ﴾ على لفظ الجلالة السابق ، فيكون عياذًا باللَّه ربي الذي رباني وأحسن مثواي ، ويكون : ﴿ إنه ربي ﴾ شهود مشهد الربوبية ، وهو مشهد العلم والإحاطة والقدرة والتربية والعناية .

ويكون قوله : ﴿ معاذ اللَّه ﴾ شهود مشهد الألوهية : ﴿ إنه ربي ﴾ شهود مشهد الربوبية ، وهذا توحيد الحنفاء ، ويوسف ، عليه السلام ، هو : « الكريم ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » ، وإبراهيم ، عليه السلام ، إمام الحنفاء ، فلا عجب أن يشهد يوسف مشهد الحنيفية في هذا المشهد الذي جمع بين مشهد الألوهية في الخوف والرجاء واللجوء والدعاء ، ومشهد الربوبية في التربية والإحسان ، وإذا كان التقدير على أنه ضميرُ الشأن ، فإن يوسف ، عليه السلام ، بعد أن استعاذ باللَّه ذكر نفسه وامرأة العزيز بفضل سيده عليه وإحسانه إليه وتكون ﴿ ربي ﴾ هنا بمعنى سيدي ، ثم أكد بعد ذلك القول بقوله : ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ ، فإن يوسف ، عليه السلام ، قد استعاذ باللَّه مما تدعوه إليه المرأة ، ثم أكد ذلك بجملتين متعاقبتين ، وكل جملة مؤكدة تأكيدًا استقلاليًا .

فهذان موقفان متباينان غاية التباين موقف المرأة بكل ملابساته التي قدَّمناها ، والتي تنازلت غاية التنازل من أجل هواها ، وموقف يوسف الشاب المملوك الذي هو في بيتها ، وتعرض لمحاولاتها ، ولم يطاوعها واعتصم باللَّه واستعاذ به ولجأ إليه .

فالأولى أذلها هواها ، والثاني أعزَه اعتصامه باللَّه .

وإلى لقاء قادم ، إن شاء اللَّه ، فتأمل ذلك يكشف لك حقائق هامة نتابعها معًا بعون اللَّه .

* * *

(جريدة الأخبار ٩٨/٣/١)

زقزوق لقيادات الدعوة :

لا تراجع عن الإشراف على مساجد الجمعيات الدينية

أكد الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : أنه لا تراجع عن بسط نفوذ الدولة في مؤسساتها الدينية - الأزهر والأوقاف - على جميع المساجد والزوايا في مصر بما فيها مساجد الجمعيات الخاصة ، مثل جمعية أنصار السنة المحمدية ، والجمعية الشرعية ، وقال : إن ذلك لا يعني مصادرة المساجد أو تأميمها كما يردد المغرضون ، وإنما يعني الإشراف الكامل عليها من جهة اتباع الأسلوب الإسلامي في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعدم سب أو قذف أو التعريض بالآخرين من فوق المنابر أيًا كانت وظائفهم في المجتمع ، مشيرًا إلى أن واجب العلماء والدعاة هو الحفاظ على البسطاء من الناس قبل الحفاظ على وحدة المجتمع .

وأضاف الوزير أنه التقى برؤساء وأعضاء الجمعية الشرعية وجمعية أنصار السنة وغيرها من الجمعيات ، وقال لهم : إنهم ماداموا ملتزمين بالمنهج الإسلامي في الدعوة فلن نتدخل في مساجدكم .

وأضاف الوزير خلال اجتماعه أمس مع قيادات الوزارة والدعوة أن وزارة الأوقاف مسئولة عن هيئة الأوقاف بكل أنشطتها الإسكانية والزراعية والاستثمارية ومسئولة عن دعم العلاقات مع الدول الإسلامية من خلال المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومسئولة عن الدعوة الإسلامية الصحيحة داخليًا وخارجيًا من خلال الوزارة ومراكزها الإسلامية في الخارج وإنشاء المساجد وتجديدها وعمارتها ، وإن ما نشر حول تغيير اسم الوزارة غير صحيح ولم نبدأ في أي إجراءات بشأنه .

أوثان .. ولو كره المنتفعون !!

بقلم الشيخ :
مصطفى درويش

«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد»

دعاء انطلق من رسول الإسلام يدل على الوعي الكامل والعلم بوثنية القبور ، فاتجه إلى اللَّه تعالى أن يجنب قبره هذه الوثنية ، وهو في نفس الوقت دعاء يحذر مما قد يحدث في المستقبل ؛ لأنه عندما انطلق هذا الدعاء لم يكن هناك قبر معد .

دعاء انطلق من الحريص على أمته وهو يعلم الأوثان وتاريخها وأصلها وكيف عُبدت .

وعندما احتج المشركون فقالوا : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللَّه زلفى ﴾ [الزمر : ٣] ، ما قصد المشركون النصب والأخشاب والحجارة ، إنما انصب القصد على من أقيمت فوق قبورهم النصب والأخشاب وبنيت الحجارة .

وعندما أراد المشركون تبرير الشرك فقالوا : ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه ﴾ [يونس : ١٨] ، ما قصدوا أن النصب والأخشاب والكساوي هي التي تشفع إنما قصدوا من أقيمت فوق قبورهم .

ولكن كيف يُعبد القبر من دون اللَّه أو يشرك به مع اللَّه ؟

« الدعاء هو العبادة » : هكذا قال رسولنا صلى اللَّه عليه وسلم ، فإذا اتجه الدعاء إلى قبر طالبًا من صاحبه جلب نفع أو دفع ضر فقد عُبد من دون اللَّه ، والنذر عبادة : ﴿ إني نذرت للرحمن صومًا ﴾ [مريم : ٢٦] ، ﴿ ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محررًا فتقبل مني ﴾ [آل عمران : ٣٥] ، فإذا اتجه النذر إلى القبر وصاحبه فقد عبد من دون اللَّه .

وهكذا سائر العبادات ، وقد بين لنا ابن عباس ، رضي اللَّه تعالى عنه ، أن الأوثان التي ذكرت في سورة « نوح » هي أسماء رجال صالحين لما ماتوا جعل الناس على قبورهم أنصابًا بقصد تخليد ذكراهم ، فلما ذهب العلم واندثر الأثر عبدت من دون اللَّه ، ولهذا قال الواحد القهار : ﴿ والذين يدعون من دون اللَّه لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون ۞ أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيَّان يبعثون ﴾ [النحل : ٢٠، ٢١] ، والقبور والحجارة والنصب لا توصف بأنها أموات غير أحياء ولا يقال عنها : لا تشعر متى تبعث ، إنما انصب

الكلام على من صنعت النصب والأخشاب والأستار فوق قبورهم .

والشيطان له أساليبه في تزيين وتثنية القبور وعبادتها ، فأحيانًا يوحي إلى أوليائه بإقامة النصب الضخمة الخشبية والنحاسية وأحيانًا الذهبية والفضية ، ووضع الأستار العالية ليقذف بالقداسة والمهابة في نفوس عابديها والعاكفين عليها ، وفي واقع الأمر المشركون لبسوا أمام قبر قد اختفت معالمه تحت النصب والأستار ليس أمام المشركين سوى هذه الأنصاب والأستار وهم لا يدرون شيئًا عن تاريخ من أطلق اسمه على هذه الأنصاب والأستار ، وقد يكون جاسوسًا يهوديًا جاء للدس والإفساد وتخريب العقائد ، وقد يكون منافقًا جاء ليفسد على الناس أمور دينهم ، وقد يكون قاطع طريق تغرب عن بلاده هروبًا من يد العدالة .

وصدقوني أنكم لن تجدوا شيئًا تحت هذه الأنصاب : ﴿ ما تعبدون من دونه إلاَّ أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل اللَّه بها من سلطانٍ إن الحكم إلا للَّه أمر ألا تعبدوا إلا إياه .. ﴾ [يوسف : ٤٠] ، ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل اللَّه بها من سلطان ﴾ [النجم : ٢٣] ، ﴿ إن يتبعون إلاَّ الظن وما تهوى الأنفس ﴾ [النجم : ٢٣] .

وقد وجد العابدون لهذه الأنصاب من المنتفعين بوجودها عونًا على عبادتها وتزيين قداستها في النفوس وبعض من يسميهم الناس علماء يزينون للناس عبادة هذه الأنصاب حفاظًا على مكانتهم بين الناس ، وخوفًا من نفور الناس منهم وانصرافهم عنهم .

والداهية الكبرى أن بعض هؤلاء العلماء يصور للناس هذا الشرك اللعين على أنه توقير لأولياء اللَّه واحترام لهم واعتراف بفضلهم ومكانتهم ، وكأن أولياء اللَّه هم هذه النصب المبعثرة في البلاد ، وأن باب الولاية قد أغلق عليهم ، وأحيانًا يأتي الشيطان الرجيم فيزين قداسة هذه الأنصاب في نفوس عابديها ، فيوحي إلى أوليائه بإطلاق أسماء أهل البيت عليها حتى تزاد قداستها في النفوس .

والشيء العجيب أن المشركين في زمن رسولنا صلى اللَّه عليه وسلم رفضوا أن يقولوا : لا إله إلا اللَّه ؛ لأنهم أعلم بمعانيها ومراميها ، وما الذي تدعو إليه وأن هذه القبور التي تُعبد من دون اللَّه يجب أن تزال تحت ظل هذه الكلمة : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا اللَّه يستكبرون ۞ ويقولون أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون } [الصافات : ٣٥، ٣٦] .

والمشركون في زماننا قالوا : لا إله إلا اللَّه ، ولم يفهموا معناها ، ولا ما ترمي إليه ، فعبدوا أنصابًا أطلقوا عليها الحسين والبدوي والقناوي وزينب ونفيسة وسكينة وغيرها .

وإذا كانت الأنصاب والأستار يجب أن تُقام على قبور أولياء اللَّه ، فمعنى هذا أنه في زمن رسولنا صلى اللَّه عليه وسلم وأصحابه كان يجب أن يكون هناك أكثر من مائة قبر عليه نصب وكسوة ؛ لأن أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم والمجاهدين معه هم الأولياء بحق وصدق .

وهب أنكم أقمتم نصبًا وأطلقتم عليه اسم عيسى ابن مريم ، فهل الإسلام يبيح لكم هذا الشرك اللعين ؟!

والعجيب أن اليهود غيروا الإسلام الذي جاء به موسى ، عليه السلام ، إلى يهودية ابتدعوها ، لقد قال موسى ، عليه السلام ، لقومه : ﴿ يا قوم إن

كنتم آمنتم باللّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ [يونس : ٨٤] .

وأوحى إليهم الشيطان أن يغيروا الدين الذي جاء به رسول الإسلام صلى اللّه عليه وسلم إلى صوفية ، ونبحث في كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم عن هذه الكلمة ، فلا نجد لها أثرًا ، وشيطانهم يقول لهم : ورضيت لكم الصوفية دينًا !!

وضاع من الناس الوعد الحق : ﴿ وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يُشركون بي شيئًا ﴾ [النور : ٥٥] .

ولكن ظهرت الملايين التي تعبد البدوي والقناوي والحسين وغيرهم ، فضاع شرط الوعد الحق ، والنتيجة : يحترق المسجد الأقصى ، ويقتل المصلون فيه ، وتهدم جدرانه ، وتحفر تحته الأنفاق لانهياره ، ووقف القوم يتعلقون بكلمة أو تصريح يقوله رئيس اليهود أو تدخل من رئيس النصارى في أمريكا ، وأين موقع خير أمة أُخرجت للناس !!

صدقوني إنها كلمة حق أقولها راجيًا الأجر من اللّه ؛ هذه الأوثان التي تعبد من دون اللّه يجب أن يكون مصيرها مصير اللات والعزى ومناة وغيرها ، وأن يتحرر الناس من هذا الدين الصوفي ويعودوا إلى دين الإسلام ، إلى لا إله إلا اللّه بحق وصدق ، وكما قال رسولنا صلى اللّه عليه وسلم : « تدين لكم بها العرب وتملكون بها العجم » .

وخير أمة أُخرجت للناس ، وليست الخيرية مجرد الانتساب ، ولكن الخيرية لها شروطها : ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وكيف تأمر الأمة غيرها بالمعروف وقد أضاعته ؟ وكيف تنهى غيرها عن المنكر وهي تعيش فيه ؟ وهذه الملايين التي تعكف على ما يسمى بالبدوي والحسين والقناوي وغيره وهل أغلق باب الولاية ، فلم يصبح من أولياء اللّه الصالحين عبر القرون الطويلة سوى هذه الأسماء القليلة وغيرهم من أولياء الشيطان ، وقالت شياطين الإنس لأوليائهم : نحن نكرمهم ، وهل التكريم يأتي بمخالفة الشرع ، والأحاديث التي بلغت حد التواتر تنهى عن البناء على القبور وكسوتها واتخاذها أعيادًا .

وقالت شياطين الإنس : نحن نقتدي بهم ، أليس صاحب الرسالة صلى اللّه عليه وسلم هو الأولى بالاقتداء ؟ وهل سمعتم في عصر الصحابة والتابعين عن مولد السيدة خديجة وآخر للسيدة عائشة وثالث لأبي بكر ورابع لعمر وغيرهم ؟ وهل سمعتم عن كسوة ومقصورة وُضعت على قبور هؤلاء ؟ أمن أجل صناديق النذور وما تدره من أموال ومن أجل المكانة والمنزلة بين الجهلاء ، من أجل ذلك وغيره يجب أن يسود الباطل وينتشر الجهل !!

إن ما يقوله بعض العلماء بيننا همسًا يجب أن يعلن مدويًا عاليًا ، وإلا فعند الموت لا فائدة من قول : ﴿ رب ارجعون ۞ لعلي أعمل صالحًا فيما تركت ﴾ [المؤمنون : ٩٩، ١٠٠] .

فالإجابة واضحة : ﴿ كلا إنها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

فمن الآن أعلنوا أن هذه الأنصاب مهما أُطلقت عليها من مسميات أوثان تعبد من دون اللّه ولو كره المنتفعون . وحسبنا اللّه ونعم الوكيل .

احذرك التسويف فالحج واجب

كتبه : محمد صادق عرنوس
(رحمه اللّه)

دُعيت إلى حط الذنوب لدى البيت ... إلى رحمة اللّه الكريم فسوفت
تشبثت بالأعذار يا نفس والمنى ... فهل من صروف الدهر واثقة أنت؟
إذا ما أتى عام وفاتك حجه ... تقولين أقضيه إذًا في الذي يأتي
كأن قضاء اللّه يعدوك حكمه ... وإنك إذ صيفت عامك قد تشتى
وأنك إذ أخطاك في الجمعة الردى ... سيخطيك أيضًا يا غبية في السبت
احذرك الإبطاء فالعمر زورق ... سيقذف مضطرًا إلى ساحة الموت
حملته إن فاتها الحج لم تكن ... لتنجي حتى يرتضى سبب الفوت
أحذرك التسويف فالحج واجب ... على الفور لا لابن يؤخر أو بنت
بقاء الذي يستطيعه ثم ينثني ... بوسوسة الشيطان مجلبة المقت
فثمة غسل القلب من درن الهوى ... وتجريده إلا من اللّه لو شئت
قسا القلب حتى لو دعاه أخو هدى ... وذكره لم ينج من بحة الصوت
إذا سمع الدنيا تنادى أجابها ... وإن سمع الأخرى تزمل بالصمت
وما من شفاء للسقام الذي به ... سوى الحج إن البرء في زورة البيت
مناسكه تجلو من القلب رانه ... وتسكب في مصباحه صافي الزيت
يذكره يوم القيامة موقف ... تَساوى ذوو الأسمال فيه وذو الدست
تذكره بالمصطفى أرض مكة ... وبالوقت أمضاه بها جل من وقت
بالدعوة الحسنى نمت وترعرعت ... وفاضت على الدنيا بمختلف النبت
وما ضل هذا الناس إلا لأنهم ... مشوا ضد ما اختطه في الدين من سمت
ومن عجب والمسلمون جنودها ... تولوا عراها المستقيمة بالبت
فهل نضيوف اللّه أن يرجعوا بها ... إلى حيث وفاها الرسول من النعت

* * *

الأمر بالتقوى ومحدثات الأمور

فضيلة الشيخ / محمد خليل هراس (رحمه الله)

عن العرباض بن سارية ، رضي الله عنه ، قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع ، فأوصنا قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » . رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

شرح المفردات

العرباض بن سارية صحابي جليل ، وهو أحد السبعة الذين عذرهم الله عز وجل في تخلفهم عن غزوة تبوك ، وأنزل فيهم قوله من سورة ((براءة)) : { ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون } [التوبة : ٩٢] .

وكان سبب روايته لهذا الحديث أن نفراً من التابعين زاره في بيته ، ثم رغبوا أن يحدثهم بشيءمما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتحفهم بهذا الحديث العظيم الذي يتضمن من الوصايا الجامعة والقواعد النافعة ما لو تمسك به المسلمون بعد نبيهم لما اشتبهت عليهم السبل ولا مزقتهم الخلافات والأهواء .

ويمهد العرباض ، رضي الله عنه ، لهذه الوصية فيذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد وعظهم موعظة بلغ من قوة تأثيرها أن وجلت منها القلوب ، يعني تملكها الفزع والخوف الشديد ، وأن ذرفت منها العيون ، أي فاضت بالدمع الغزير ، فلما سمعوا منه تلك الموعظة ورأوها على غيرالمألوف من مواعظه أحسوا بدنو أجله وقرب مفارقته إياهم ، فدفعهم حرصهم على الخير أن يطلبوا منه صلى الله عليه وسلم وصية يعتصمون بها بعده ويجعلونها دستوراً ومنهاجاً لهم يقيهم من ورطات الضلال والانحراف ، فعهد إليهم بتلك النصيحة الغالية التي تدل على عظيم شفقته بأمته وحرصه على خيرها وسعادتها .

١- فأمرهم أولاً بتقوى الله ، وهي كلمة جامعة يدخل فيها فعل كل مأمور به واجتناب كل منهي عنه ، فإن كل ما أمر الله به فقد أحبه ورضيه ، وكل ما نهى عنه فقد كرهه وسخطه ، ولا يمكن أن تنال التقوى الكاملة مع فوت شيء من المحبوبات أو فعل شيء من المكروهات ، فإن ذلك موجب لعذاب الله وسخطه ، ومن عرض نفسه لعذاب الله لا يقال : إنه اتقاه ، ولهذا كانت التقوى درجات كثيرة ، ولكل إنسان من التقوى بقدر ما أطاع الله عز وجل فيه امتثالاً لأمره واجتنابا لنهيه .

ولهذا يكثر في القرآن العظيم أن تذكر التقوى وحدها ويرتب عليها الفوز بكل مطلوب والنجاة من كل مهروب ، كقوله تعالى من سورة ((آل عمران)) : { للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج

مطهرة ورضوان من اللّـــه } [آل عمـران : ١٥] ، وكقوله في سورة ((الأنفال)) : { يأيها الذيـن آمنـوا إن تتقوا اللّه يجعل لكم فرقانـاً ويُكفر عنكم سـيناتكم ويغفـر لكم } [الأنفال : ٢٩] ، وكقوله في سورة ((النحـل)) : { ولدار الآخرة خيرٌ ولنعـم دار المتقيـن ۞ جنـات عـدنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي اللّه المتقين ۞ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولـون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون } [النحل : ٣٠- ٣٢] .

وقد تقرن التقوى بغيرها كما قرنت بالصبر فـي قولـه تعالى : { إنه مـن يتـق ويصـبر } [يوسـف : ٩٠] ، وبالإحسان في قوله : { إن اللّه مع الذين اتقوا والذين هـم محسنون } [النحل : ١٢٨] ، وبالصدق في قوله : { يأيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وكونوا مع الصـادقين } [التوبـة : ١١٩] ، ولكن ليس معنى هذا أن هذه الأمور خارجة عـن التقوى ، بل هو من ذكر الخاص بعد العام اهتمامـاً بشأنه .

٢- ثم أمرهم ثانيـاً بالسمع والطاعة لمـن ولاه اللّـه أمرهم ، فإنه كما يجب القيام بحق اللّه في التقـوى يجـب القيام للولاة بحقهم في السمع والطاعة ماداموا لا يـأمرون بمعصية اللّه تعالى ، فإنه لا طاعة إلا فـي معـروف ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، قال اللّه تعالى : { يأيها الذين آمنوا أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } [النساء : ٥٩] ، قال المفسرون : هم العلماء والأمراء .

وولي الأمر واجب الطاعة أيـاً كان جنسه أو لونـه ، حتى ولو كان عبداً مجدع الأطراف كأن رأسه زبيبة ، فـإن شق عصا الطاعة والخروج على الجماعة تمزيق للصفـوف وتقطيع للأواصـر وتمكيـن لأعـداء الإسـلام أن يدخلـوا بدسائسهم ومكايدهم لإذكاء نار الفرقـة والاختـلاف حتـى يستفيدوا هم من وراء ذلك ، نعم يجب على العلماء تبصـير الولاة بمواطن الحق والعدل إن خيف منهم جنوح إلى بـاطل أو ميل إلى جور ، وأن يكون ذلك في رفق وهوادة رعايـة لحرمة الولاية ، فإن اللّه رفيق يحب الرفق ويعطـي علـى الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما دخل الرفق في شيء إلاّ زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه .

٣- ثم أوصاهم ثالثـاً إذا هبت رياح الفتنـة وتشـعبت بالناس الأهواء ونجمت قرون الضلالة أن يستمسكوا بسـنته عليه السلام ، يعني بطريقته وهديه وبسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، وأن يحرصوا على ذلك حرصهم علـى الحياة نفسها ، فإن السنة حينئذ هي قـارب النجـاة الـذي يوصل إلى شاطئ الأمان والسلامة ويعصم من الغـرق فـي لجج الضلال وطوفان الفتنة .

والسنة هي كل ما ترك النبي صلى اللّه عليـه وسـلم عليه أمته في الاعتقاد والعمل جميعـاً ، فهي تشمل هذيـه كله ، فنصدق بكل ما أخبر عنه من أسماء اللّه عـز وجـل وصفاته وأفعاله ، ولا نتجاوز ما حده لنا في ذلك ، فلا نثبت للّه من الأسماء والصفات إلاّ ما نعلم أنه أثبته ، ولا ننفي إلا ما نعلم أنه نفاه ، ونصدق كذلك بكل ما أخـبر عنـه مـن الحقائق الغيبية التي لا تعلم إلا من طريقـه ، ولا نعـارض شيئـاً من أخباره بقياس عقولنا ولا بـأقوال شـيوخنا ولا بفلسفات أجنبية دخيلة على ديننا ، كما فعلـه أهـل الكـلام الباطل فضلوا به وأضلوا ، ثم ننظر كيف كـان هديـه فـي صلاته ، فنصلي كما كان يصلي ، وهكذا في سائر العبادات ، وكيف كانت معاملته لأهل بيته ولأصحابه ولأعدائه فنجتـهد في أن نتخلق بما كان عليه من خلق عظيم هو المثل الأعلى الذي يجب أن نهدف إلى تطبيقه على كل شئون حياتنا ، كما فعل سلفنا الصالح ، رضي اللّه عنهم ، فـي إحيـاء سـنته والتزام طريقته ، وكذلك نأخذ بما سنه لنا خلفاؤه الراشـدون الذين كانوا أعرف الناس بسنته وأشدهم أخذاً بـها ، فـإن طريقتهم وهديهم لا يمكن أن تخالف طريقته وهديه ، بـل لا تكون إلا تكميلاً وامتداداً لها .

٤- وأخيراً حذرهم أشد التحذير من الأمـور المحدثـة التي ابتدعت بعده على خلاف طريقته وهديه ، وبين لـهم أن ذلك كله ضلال وخروج عن سواء السبيل .

نسأل اللّه أن يجعلنا ممن أحسن الاتبـاع لهديـه ، وأن يقينا شر الابتداع بمنه وكرمه .

فضيلة الشيخ /محمد خليل هراس

الحج والأضحية في عيد الأضحى المبارك

بقلم الشيخ :
بكر محمد إبراهيم
نائب رئيس أنصار السنة ، فرع السلام

عيد الأضحى

اللّه أكبر كبيرًا ، والحمد للّه كثيرًا ، وسبحان اللّه العظيم وبحمده بكرة وأصيلاً ، لا إله إلا اللّه وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا اللّه ، ولا نعبد إلا إياه ، محمد رسول اللّه . أما بعد :

فقد أمر اللّه تعالى إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، أن يؤذن في الناس بالحج فأتوه من كل فج عميق رجالاً وركبانًا ، ودعا الخليل لأرض الحرم بالبركة والخير ، فاستجاب له ربه وتحولت من قفر إلى عمران ، ومن فقر إلى غنى ، إشارة منه سبحانه إلى أن الغنى الأكبر إنما هو حج بيت اللّه الحرام وزيارته في بيته المقدس المطهر للطائفين والعاكفين في هذا الشهر الحرام شهر ذي الحجة يحتشد المسلمون في مكة البلد الحرام ، وطافوا بالبيت داعين ملبين منكسرين ، فرفعهم اللّه قدرًا ، ونالهم برضاه وحبه وغفرانه ، فنعم الجزاء .

أحرم الحجاج وهجروا كل زينة الدنيا ، مقبلين على ربهم ، معظمين لشعائره ، مطيعين لأمره ، ذاكرين لفضله ، مفوضين أمورهم إليه ، متبرئين من حولهم وقوتهم إلى حول اللّه وقوته ، ضجوا بالدعاء على عرفات ، وباهى اللّه تعالى بهم ملائكته ، وأعطاهم ما أرادوا ، وغفر لمسيئهم إكرامًا لمحسنهم ، وذل الشيطان واندحر لما رأى سحائب الغفران والرحمة ، ويقول : يا وليلتي ، أمر ابن آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة ، وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النار .

اليوم يوم من أيام اللّه ، هو يوم عيد الأضحى المبارك ، أعاده اللّه علينا وعليكم وعلى أمة الإسلام باليمن والبركات ، فيوم الأضحى مليء بالعبر والعظات والخيرات ، فهو تمام الليالي العشر التي أقسم اللّه تعالى بها في قوله تعالى في سورة الفجر : ﴿ والفجر ۞ وليال عشر﴾ [الفجر : ١، ٢] ، وذلك لعظمتها ورفيع قدرها عنده ، ومضاعفة ثواب الأعمال الصالحة فيها ، وهي العشر الأوائل من ذي الحجة التي يقع فيها الحج إلى بيت اللّه الحرام ، فمن أحيا الليالي العشر بصالح الأعمال فقد فاز .

فالحجاج قد خرجوا من ديارهم ، وهجروا أوطانهم وأموالهم وأولادهم ، وتجردوا من كل زينة ، وتوحد مظهرهم أمام اللّه طائعين وساعين وملبين واقفين بعرفات .

ومن لم يحج فليتوجه إلى اللّه بقلبه وروحه عند مناسكه وحرماته في الأرض الطيبة الطاهرة ، يدعو مع الداعين ، ويرغب مع الراغبين ، ويسأل اللّه من فيضه أن يجعله ضمن وفده في عام مقبل إن شاء بفضله وكرمه .

وهو يوم يذكرنا بأن العمر قصير ، وقد خرج الحجاج في ملابس تشبه أكفان الموتى لتذكرنا بهذا المعنى ، فتحث القادر على

الحج بالتعجيل وعدم التراخي ، خشية فوات العمر دون أداء ركن من أركان الإسلام ، قال تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وهو يذكرنا بأن الحج عمل خالص لله تعالى ، وليس مجرد رغبة في الحصول على مكاسب دنيوية زائلة ، وإلا كان مردودًا على صاحبه ، قال تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ [الشورى : ٢٠] ، فهذا هو المحروم .

وهذا اليوم يذكرنا بأبينا إبراهيم ، عليه السلام : ﴿ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ [الحج : ٧٨] ، ولقد جعل الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أولى الناس بحماية دين إبراهيم ، عليه السلام ، من التحريف ، فقال : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ﴾ [آل عمران : ٦٨] .

الأساس الأول لإبراهيم ، عليه السلام : هو الطاعة المطلقة لله تعالى دون انتظار لحكمة الأمر ودليل ذلك أنه لما صدر الأمر إليه بالخروج من بلده لم يسأل الوحي : إلى أين ؟ وكيف ؟ بل حزم متاعه وصحب أهله وخرج قائلاً : ﴿ إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ [الصافات : ٩٩] ، والأساس الثاني هو الإيمان بالله تعالى وبأمره ونهيه إيمانًا مطلقًا ، دون شك ، ولا حيرة ، ولا قلق من تأخير الإجابة ، وذلك يتمثل في قوله : ﴿ سيهدين ﴾ .

لقد وضع إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، ولده إسماعيل على أرض جرداء لا نبات فيها ولا ماء ، ولم يسأل ربه : ماذا يأكل ؟ ماذا يشرب ؟ كيف ينام ؟ وسألته زوجته هاجر المصرية المؤمنة : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، لقد ورثت إيمان الخليل ، وورثه عنه إسماعيل ، عليه السلام ، لقد أصبح القفر اليابس عمرانًا هائلاً ، وهوت أفئدة الناس إلى موطن إسماعيل ، كما دعا أبوه : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

فالأساس الثالث في دين إبراهيم الذي ورثناه عن رسولنا صلى الله عليه وسلم : العمل لوجه الله لمصلحة جموع المسلمين دون انتظار جزاء ولا شكور من مخلوق ، فاعمل الخير ولو جحده الناس ، لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس من الغنائم بأمر القرآن : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ﴾ [الأنفال : ٤١] ، ولكن هذا الخمس لم يكن أجرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ضريبة على المقاتلين كما يتشدق بذلك أعداء الإسلام ، وإنما كان صلى الله عليه وسلم يرده على الناس فيعطي ما لا يكفيه نصيبه ، ويطعم أهل الصفة ، ويواس الأرامل واليتامى ، حتى طلبت منه ابنته الزهراء ، رضي الله عنها ، بعض الخمس يستعينان به على الحياة ، فقال فيما أخرج الإمام أحمد : (والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع) ، وإنما علمها وزوجها ، رضي الله عنهما ، أذكارًا يقولانها قبل النوم بدلاً من خادم .

فاتقوا الله عباد الله ، وحجوا قبل ألا تحجوا ، فقد وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بالمغفرة الشاملة ، فقال : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

ويخطئ الكثير من أهل الغفلة عن الله فيعتقدون أن الحج يكفر الذنوب التي تتعلق بالعباد ، وهذا الاعتقاد ليس على إطلاقه ، فالحج يكفر الذنب الذي يكون بينك وبين ربك ؛ أما الذنوب التي تكون بينك وبين العباد كالغش والظلم والغيبة والنميمة وغيرها ، لا بد لغفرانها من استحلال أصحابها واسترضائهم ورد الحقوق إليهم .

أما إذا تعذر ذلك ، وأصبح مستحيلاً ، فإن الأمر يحتاج إلى جهد كبير هو الإخلاص لله تعالى في التوبة ، والاستغفار لأصحاب الحقوق ، والإكثار من العمل الصالح ، والإيمان حق الإيمان ، ودعاء الله تعالى في الأسحار والأوقات المباركة أن يرضى عنه خصومه يوم القيامة ؛ وهنا يتولى الله برحمته إرضاء الخصوم لقوله تعالى : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ [الحج : ٣٨] .

والأمر الثاني ما اعتاده الناس من حبس الأضحية عن الفقراء ، كما يجب أن تكون الأضحية من خير المال ، وليست معيبة بهزال ولا عور ولا خرق .

اللهم اغفر لي وللمسلمين والمسلمات وأصلح أحوالنا ويسر لنا حج بيتك الحرام وارفع راية الإسلام ، إنك سميع قريب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

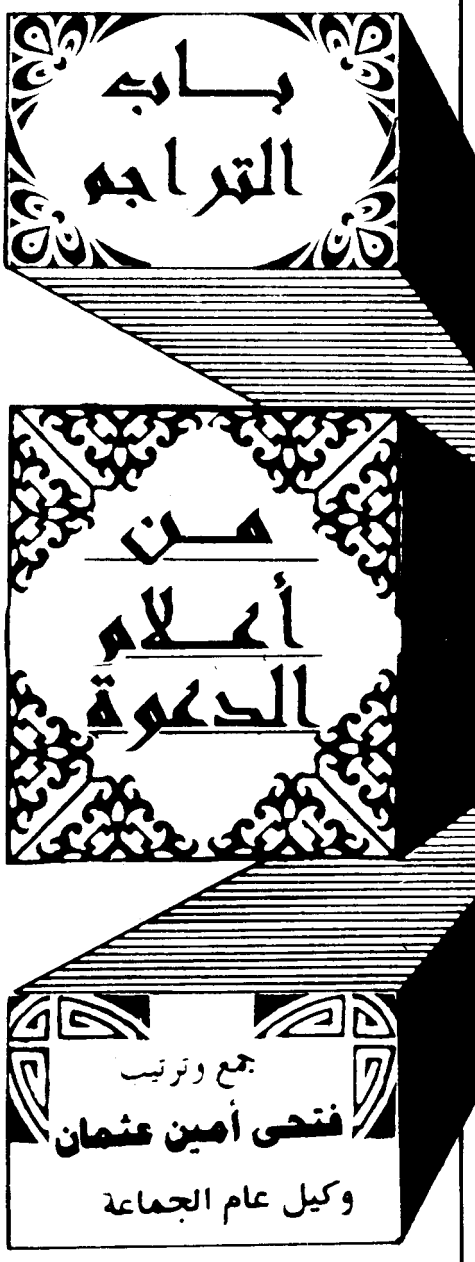

الشيخ الدكتور
عبد الفتاح سلامة

١٣٥٨ - ١٤١٨ هـ / ١٩٣٨ - ١٩٩٨

■ **اسمه** : عبد الفتاح إبراهيم سلامة .

■ **مولده** : ولد في ١٩٣٨/٤/٢٢ م بمدينة طنطا .

■ **مؤهلاته** : حصل على درجة الإجازة العالية ، ودرجة الماجستير وتوج دراسته العليا بالحصول على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين عام ١٩٧٩ م بمرتبة الشرف الثانية في موضوع « النص القرآني بين التفسير والتأويل » .

- عين في بداية حياته الوظيفية إمامًا وخطيبًا ومُدرسًا بمديرية الأوقاف بالقاهرة ، وقد تقدم خلال تلك الفترة ببعض الأبحاث للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

- أعارته وزارة الأوقاف المصرية واعظًا عامًا لهيئة الأوقاف الليبية ، وإعارته هذه بدورها للقوات المسلحة الليبية فكانت له مواقف يُحمد عليها .

- وقد ظل في ليبيا ثلاثة أعوام يخطب ويحاضر متطوعًا بمسجد الملك إدريس .

- عاد إلى مصر وقد اختار اللّه له الجوار الطيب ، فتعاقد مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، فعين محاضرًا بالجامعة الإسلامية في ١٥ محرم ١٣٩٨ هـ .

- ثم تعاقد مع الجامعة الإسلامية بعد حصوله على الدكتوراه كأستاذ ابتداءً من ١٣٩٩/١٠/١٩ هـ ، إلى نهاية إعارته في ١٤١١/١/١٧ هـ .

- دَرَّس مادتي التوحيد والتفسير بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية لمدة خمسة أعوام (١٤٠٥هـ) .

- ثم تفرغ للعمل بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية لمدة خمسة أعوام من ١٤٠٥ هـ - ١٤١١ هـ ، وقد شارك من خلال اللجان المختصة في وضع مناهج التفسير وعلوم القرآن

في الدراسات العليا ومن قبلها شارك في وضع مناهج التوحيد والتفسير في كليات الجامعة الإسلامية .

- ولقد رأيت في مكتبته الخاصة مجموع رسائل الدكتوراه والماجستير التي كان له فضل الإشراف عليها والتي شارك في مناقشتها فوجدتها تربو على الثلاثين رسالة .

- مما يدل على سعة علمه وإحاطته بالموضوعات التي بحثت في هذه الرسائل ولا غرو ، فقد كان الشيخ عبد الفتاح سلامة ، رحمه الله ، خير خلف لشيخه الدكتور محمد خليل هراس ، فقد كان كلاهما صاحب علم وصاحب منهج ، وعندما كتبت عن الشيخ خليل هراس كان الشيخ عبد الفتاح سلامة من أكبر مصادري في الترجمة ، فقد كان ملمًا إلمامًا كاملاً بإنتاج الشيخ هراس حافظًا لأسماء كل كتبه مما يدل على وفائه لشيخه .

■ **صلته بـ"أنصار السنة"** : عمل رحمه الله منذ أن كان طالبًا في حقل الدعوة إلى الله ، ويكفي أن نعرف أنه قد انتخب وهو طالب نائبًا لرئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا في الفترة من عام ١٩٥٥ / ١٩٦٧ وهو عام إدماج الجماعة .

- كذلك انتخب عضوًا بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بعابدين زمن رياسة الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، رحمه الله .

- يعتبر الشيخ عبد الفتاح سلامة من كتاب مجلتي الهدي النبوي والتوحيد لسان حال أنصار السنة المحمدية .

- كما كان من المحاضرين بدار أنصار السنة المحمدية ، وكانت محاضراته تلقى قبولاً وإقبالاً كبيرًا .

- في عام ١٩٧٣ هـ أسس بالاشتراك مع فضيلة الشيخ محمد خليل هراس جماعة الدعوة الإسلامية بالغربية ، وقد تولى رياستها منذ وفاة شيخه حتى يوم وفاته .

■ **نشاطه في المسجد النبوي الشريف ومواسم الحج** : كان قد اختير لتوعية المسلمين في المسجد النبوي وكذا المشاعر المقدسة في مكة ، وذلك بالتنسيق مع رياسة الحرمين الشريفين ، والرياسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد في مواسم الحج .

■ **جهوده في حقل النشاط الإعلامي** :

لقد كان الشيخ ، رحمه الله ، مفوهًا سليم النطق ، وكان حريصًا دائمًا على الحديث بلغة عربية سهلة وسليمة وفصيحة ، مما أهله لأن يكلف من قبل الإذاعات المحلية والعالمية لإعداد برامج دينية وإلقاء كلمات دينية ، ومن أبرز البرامج التي قدمها :

١- برنامج الإسلام (دين ودنيا) ، وذلك بالإذاعة السعودية ، فقدم منه (٢٢٥ حلقه) ، وذلك عام ١٤٠١ هـ .

٢- كما عهدت إليه إذاعة القرآن الكريم بإعداد وتقديم برنامج أسبوعي عنوانه (تذكرة وذكرى) استمر لمدة خمس سنوات قدم خلالها (٢٥٦ حلقة) .

٣- شارك في عديد من البرامج والندوات الإذاعية ، كما كان له حضوره ونشاطه في المؤتمر العالمي لمكافحة المخدرات والمسكرات والتدخين .

■ **إنتاجه العلمي** : يعتبر إنتاجه العلمي قليل بالنسبة لنبوغ الشيخ وسعة علمه ، ولكن قد ترك لنا مقالات وأبحاث وكتب صدرت وكتب لم تصدر بعد ، ومن أهم إنتاجه :

١- أبحاث ومقالات بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٢- مقالات بمجلة (المسلمون) والمدينة المنورة ، والتوحيد ، ومن قبل بالهدي النبوي ومجلة الإخلاص .

٣- كتاب « تحديد النسل بين الأديان والعلم والمجتمع » سنة ١٩٥٩ م .

٤- « لا تتخذوا القبور مساجد ولا تجعلوا الأضرحة معابد » سنة ١٩٦٢ م .

٥- كتاب « شعبان ونصف شعبان بين الحقائق الإسلامية والأباطيل الإسرائيلية » نشر عام ١٩٦١م .

- له مؤلفات أخرى لم تطبع بعد وتعد للنشر .

■ **وفاته** : توفي ، رحمه الله ، في ظهر يوم الخميس ٢٩ شوال ١٤١٨ هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٩٨ م ، وشيعت جنازته يوم الجمعة أول ذي القعدة ١٤١٨ هـ ، وكانت محاطة بجمع غفير من إخوانه وتلاميذه ومحبيه ، والله نسأل أن يجزل له الثواب ، وأن يعوضنا فيه خيرًا .

خير الأقوال ..

في محبطات الأعمال

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فإن معرفة محبطات الأعمال من الأهمية بمكان ؛ لأن الله سبحانه قد حذرنا منها بقوله سبحانه : { أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون } [الحجرات : ٢] ، فما هو الإحباط ؟ وما هي أنواعه ؟

الإحباط لغة : هو عمل العمل ، ثم إفساده ، أو بطلان ثوابه ، وقد ورد لفظ الإحباط في كتاب اللّه عز وجل صريحاً في قوله سبحانه :

١- { ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله } [المائدة : ٥] .

٢- { ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون } [الأنعام : ٨٨] .

٣- { ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم } [محمد : ٩]

٤- { ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك } [الزمر : ٦٥] .

٥- { والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم } [الأعراف : ١٤٧] .

٦- { ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون } [الحجرات : ٢] .

● وتلميحا في قوله سبحانه :

١- { يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى } [البقرة : ٢٦٤] .

٢- { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا } [الفرقان : ٢٣] .

٣- { ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ۞ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم } [التوبة : ٦٥، ٦٦] .وكذلك وردت أحاديث عن رسولنا صلى الله عليه وسلم ، وأقوال عن سلف الأمة تحذر من الإحباط منها :

١- قوله صلى اللّه عليه وسلم : ((من ترك صلاة العصر حبط عمله)) .

٢- عن جندب أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حدث أن رجلاً قال : واللّه لا يغفر اللّه لفلان ، وأن اللّه قال : ((من ذا الذي يتألى عليَّ ، ألا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك)) . رواه مسلم .

٣- قوله صلى اللّه عليه وسلم : ((أتدرون من المفلس ؟)) قالوا : المفلس منا من لا درهم له ولا متاع ، قال صلى اللّه عليه وسلم : ((إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار)) . رواه مسلم .

٤- عن عائشة ، رضي اللّه عنها ، قالت : قلت : يا رسول اللّه ، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : ((لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)) . رواه مسلم .

٥- ولقد بوب البخاري ، رحمه اللّه ، في كتاب الإيمان ، باب (خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) ، وقال إبراهيم التيمي : ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً ، وقال ابن أبي مليكة :

بقلم : أسامة سليمان (عضو إدارة الدعوة بالمركز العام)

أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل ، ويذكر عن الحسن : أنه ما خافه إلا مؤمن ، وما أمنه إلا منافق .

٦- قال القاضي أبو بكر بن العربي في الرد على المرجئة : أن الإحباط إحباطان ؛ أحدهما : إبطال الشيء وإذهابه جملة ، كإحباط الإيمان للكفر ، والكفر للإيمان ، وذلك في الجهتين إذهاب حقيقي . ثانيهما : إحباط الموازنة إذا جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة ، فمن رجحت حسناته نجا ، ومن رجحت سيئاته وقع في المشيئة ، إما أن يغفر له ، وإما أن يعذب ، فالتوقيف إبطال لها ؛ لأن توقيف المنفعة في وقت الحاجة إليها إبطال لها ، والتعذيب إبطال أشد منه إلى حين الخروج من النار ، ففي كل منهما إبطال نسبي أطلق عليه اسم الإحباط مجازا وليس هو إحباط حقيقة ؛ لأنه إذا أخرج من النار وأدخل الجنة عاد إليه ثواب عمله ، وهذا بخلاف قول الإحباطية الذين سووا بين الإحباطين وحكموا على العاصي بحكم الكافر وهم معظم القدرية .

● الإحباط وأنواعه :

إحباط الأجر كلية لكل الأعمال الصالحة ، ومنه عمل الكافر ؛ لأن الإسلام شرط لقبول الأعمال ، فإن تخلف الشرط لا يقبل العمل مهما كان صلاحه ونفعه ، وفي ذلك يقول سبحانه : { والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب } [النور : ٣٩] .

ويقول سبحانه : { من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ۞ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون } [هود : ١٥، ١٦] .

وقد يتمتع الكافر بعمله الصالح في الحياة الدنيا ، فعن أنس ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها)) . رواه مسلم .وكذلك عمل المنافق (نفاق اعتقادي) ، وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، فهو والكافر سواء ، وهؤلاء أشد خطورة على الإسلام من الكفار ؛ لأن ظاهرهم يخالف باطنهم ، ولقد فضحهم الله في سورة ((التوبة)) و((البقرة)) و((المنافقون)) و((محمد)) ، وغيرها ، يقول سبحانه : { وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون } [التوبة : ٥٤] ، ويقول سبحانه : { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ۞ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون } [التوبة : ٨٤، ٨٥] .

إحباط أجر عمل العبد كله بعد كتابته ، بالردة عن الإسلام إلى الكفر ، يقول سبحانه : { ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة } [البقرة : ٢١٧] ، وتتحقق الردة بأسباب منها :

١- الاستهزاء بالدين وأهله ، يقول صاحب كتاب ((تيسير العزيز الحميد)) : (أجمع العلماء على كفر من استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه ، سواء كان قاصدا حقيقة الاستهزاء أم هازلا) . اهـ . (ص ٦١٧) ، ولذلك قال سبحانه في شأن أولئك الذين استهزءوا بحملة القرآن : { ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ۞ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين } [التوبة : ٦٥، ٦٦] .

فهل أدرك هؤلاء الذين يسخرون من اللحية والنقاب والثوب القصير ، ويضحكون الناس بالاستهزاء بآيات الله أو بحديث رسول الله أنهم على خطر عظيم .٢- الشرك الأكبر ، وهو الشرك الذي يخرج من الملة ؛ لأن الله

سبحانه لا يقبل مع الشرك عملاً ، يقول سبحانه : { ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك } [الزمر : ٦٥] ، ويتحقق الشرك الأكبر بصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير اللَّه عز وجل كالدعاء ، والنذر ، والذبح ، والركوع ، والسجود ، يقول سبحانه : { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للَّه رب العالمين ۞ لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين } [الأنعام : ١٦٢، ١٦٣] .

فيا ليت الذين يذبحون للأضرحة ويطوفون بها ويدعونها من دون اللَّه يعلمون أنهم هم الأخسرين أعمالاً .

٣- إنكار معلوم من الدين بالضرورة ، والعلم الضروري هو العلم الذي لا يحتاج إلى نظر ولا استدلال ، بل يجب التصديق به مطلقاً ، فمن أنكر وجوب الصلاة ، أو الصيام ، أو الزكاة ، أو الحج ، فقد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة يستتاب وإلا قتل ردة .

٤- السحر والدجل والكهانة ، فالساحر كافر مرتد ، يقول سبحانه : { واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر .. } [البقرة : ١٠٢] ، ويقول سبحانه وتعالى : { ولا يفلح الساحر حيث أتى } [طه : ٦٩] ، ويقول صلى اللَّه عليه وسلم : ((من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد)) . رواه أحمد .

إحباط أجر عمل معين ، فالرياء يبطل أجر عمل المرائي به ؛ لأن اللَّه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه غير اللَّه فهو للشريك ، ولذلك فإن أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة : عالم ، ومجاهد ، ومتصدق ، أعمالهم لم تكن خالصة للَّه رب العالمين : { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عمل صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحدًا } [الكهف : ١١٠] ، { وما أُمروا إلا ليعبدوا اللَّه مخلصين له الدين حنفاء } [البينة : ٥] .

وعدم صلاة العصر تحبط عمل اليوم ، لقوله صلى اللَّه عليه وسلم : ((من ترك صلاة العصر حبط عمله)) .

والمن والأذى يبطلان أجر الصدقة : { يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى .. } [البقرة : ٢٦٤] .

والربا يبطل أجر الجهاد في سبيل اللَّه ، قالت عائشة ، رضي اللَّه عنها ، لأُم ولد زيد بن أرقم : إنه قد أبطل اللَّه جهاده إلا أن يتوب .

إحباط أجر بعض الأعمال دون البعض ، ومن ذلك رفع الصوت عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، وذلك لأنه قد يجلب غضب الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ، وغضب الرسول صلى اللَّه عليه وسلم يجلب غضب اللَّه سبحانه ، وفي ذلك يقول ابن العربي ، رحمه اللَّه تعالى : حرمة النبي صلى اللَّه عليه وسلم ميتاً كحرمته حياً ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة كمثال كلامه المسموع من لفظه ،.فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ، وذلك في مجلسه عند التلفظ به . (القرطبي : ١٦/٣٧) .

وفي هؤلاء يقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم : ((لا أعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً ، فيجعلها اللَّه عز وجل هباءً منثورًا)) ، قال ثوبان : يا رسول اللَّه ، صفهم لنا ، جلِّهم لنا ، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ؟ قال : ((أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم اللَّه انتهكوها)) . رواه ابن ماجه .

اللهم إنا نعوذ بك من محبطات الأعمال ، ومن سوء الخاتمة ، ومن فساد ذات البين ، ومن الشرك بأنواعه ... آمين .

تنبيه هام :

لقد وزع عشرة اشتراكات مجانية دائمة لكل فرع تريد كمية توزعه عن ٥٠٠ (خمسمائة نسخة) شهريًا ، وترجو إدارة المجلة من الفروع المذكورة إرسال عشرة عناوين للجهات والشخصيات الهامة حتى يقوم قسم التوزيع بإرسال الاشتراكات على العناوين المذكورة (العناوين في المحافظة التي يقع فيها الفرع)